الجمهـوريّـة الجـزائـريـّة الديمقـراطيـّة الشّعبيـّة
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 – قالمة-
كلّية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherché scientifique
Université 8 Mai 1945 – Guelma
Faculté : des lettres et des langues
Département de la Langue et Littérature Arabe

الرّقم: .....

مذكّرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات نيـل شهـادة
الماستر
تخصّص: أدب جزائري

ملامح الهويّة في الرّواية الجزائريّة الفرنكفونيّة
رواية فضل اللّيل على النَّهار ياسمينة خضرا –أنموذجا-

مقدّمة من قبل:
الطّالبة:رفّاد إيمان
الطّالبة:زقابي بثينة

تاريخ المناقشة: 30 / 09/ 2020

أمام اللّجنة المشكّلة من الأساتذة :

الاسم و اللّقب	الرّتبة	مؤسّسة الانتماء	الصّفة
إبراهيم كربوش		جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
يزيد مغمولي	أستاذ مساعد (أ)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
عبد الحليم مخالفة		جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السّنة الجامعية: 2019/ 2020

دعاء

اللّهم بك أستعين وعليك أتوكّل، اللّهم ذلّل لي صعوبة أمري وسهّل لي مشقّته، وارزقني من الخير كلّه أكثر ممّا أطلب واصرف عنّي كل شرّ.

ربّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري كلّه يا كريم، اللّهم يسّر لي الخير حيث كنت وحيث توجّهت، اللّهم سخّر لي الأرزاق والفتوحات في كلّ وقت وساعة، ويسر علي كل صعب وهوّن عليّ كل عسير واحفظني بما ينزل من السّماء وما يخرج منها، ما يرى عليها يا كريم يا الله، اللّهم ألطف بي في تيسير كلّ عسير فإن تيسير كلّ عسير عليك يسير، وأسألك اليسر والمعافاة في الآخرة والأولى، "فسنيسّره لليسرى"، يا رب افتح لي بالخير واختم لي بالخير، اللّهم أنت الموفّق والميسّر والمسهّل والمسخّر، وأنت حسبي الله ونعم الوكيل.

شكـــــــر وعـــــرفان

بعد السّجود لله شكرا على حسن توفيقه لنا في إتمام هذا العمل المتواضع، الحمد لله وكفى والصّلاة والسّلام على الحبيب المصطفى سيّدنا ونبيّنا وحبيبنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم الذي قال:" **من لايشكر الله لو يشكر الناس**"

ـ رواه أحمد أبو داود الترمذي ـ

نشكر الله ونحمده حمدا كثيرا على هذه النعمة الطّيّبة والنافعة، نعمة العلم والبصيرة.

يشرّفنا أن نتقدّم بجزيل الشّكر والعرفان والتّقدير إلى أستاذنا الفاضل المشرف" مغمولي يزيد"، على مجهوداته الكريمة كان لنا خير مرشد نشكره على صبره الطّويل معنا، كان لنا حافزا وسندا لإتمام هذا العمل المتواضع وإلى كافّة أساتذة قسم اللّغة العربيّة وآدابها، وبالأخص قسم الأدب العربي الذّين تلقينا خير العلوم على أيديهم منذ مسيرتنا العلميّة لنصل إلى الهدف المنشود.

كما نتقدّم بالشّكر الجزيل لكل من أسهم في تقديم يد العون لإنجاز هذا البحث، كما لا ننسى أن نتقدّم بأرقى وأثمن عبارات الشّكر والعرفان إلى القائمين على جامعة قالمة وعلى رأسهم رئيس الجامعة وكل العاملين بها.

إلى الذّين كانوا عونا لنا في بحثنا ونور ينير الظّلمة التي تقف أحيانا في طريقنا، إلى من زرعوا التّفاؤل في دربنا وقدّموا لنا المساعدات والتّسهيلات والمعلومات، فلهم كلّ الشّكر وبالأخص بنات خالتي " وافية – هاجر نابتي" اللّتان أسهمتا بشكل وفير في تشجيعنا أثناء البحث.

أمّا الشّكر الذي من النّوع الخاص فنحن نتوجّه به إلى كل من وقف بجانبنا سواء من قريب أو بعيد.

البحث بحثنا فلولا وجودهم لما أحسسنا بمتعة العمل وحلاوة البحث ولما وصلنا إلى ما وصلنا إليه فلهم منا كل الشكر والعرفان.

وشكرا

الإهداء :

إن كان الإهداء جزء من الوفاء

الى الذي لا يطيب الليل إلا بشكره, ولا يطيب النهار إلا بطاعته ولا تطيب اللحظات إلا بذكره الله عز وجل.

إلى من بلّغ الرّسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمّة سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

لكل عمل نهاية، وبداية عملي كانت برضائكما ودعائكما، فكانت ثمرة هذا الدّعاء التّوفيق والسّداد.

بعد قوله تعالى:" واخفض لهما جناح الذّل من الرّحمة وقل ربّي ارحمهما كما ربيّاني صغيرا"

إلى من اكتوى بلسعات الدّنيا من أجل أن نعيش معزّزين مكرّمين، إليك يا من تعبت لأنجح وعلّمتني الكرامة والشّرف تاج رأسي "والدي العزيز"، أطال الله في عمره، إلى من ضحّت بسعادتها وفرحتها وتعبت لنستريح، إلى أطيب وأحسن وأعظم قلب في الوجود كله، إليك يا ضياء قلبي ونور عيني، يا منبع الحب والحنان "والدتي الغالية" جعل الله لها الشفاء.

إلى من عليهما أعتمد وأكتسب القوة إلى العائلة الصّغيرة، إلى من وضعوا روحي بذات يسارهم وقلبي بذات شمالهم وعمري بين يديهم، إلى الذّين منهم وحدهم استوفي معاني الحياة واسترد فرحتي وكبريائي إلى إخوتي "سوسن"و "أشرف" حفظهما الله من كل شر.

إلى كل العائلة الكبيرة كل واحد باسمه عماتي وأعمامي، وبالأخص خالاتي وأخوالي، وإلى أزواجهم وأولادهم إلى أغلي جوهرة في الوجود" جدتي" أطال الله في عمرها.

إلى من قاسمتني في انجاز هذا العمل وقاسمتني متاعب الحياة بحلوها ومرّها، إلى توأم روحي صديقتي وعزيزتي إليك أنتي يا من كنت لي ظلا لا يفارقني " إيمان رفّاد"

إلى الذّين تميّزوا بالوفاء والعطاء صديقاتي ورفقاء دربي.

إلى كل طلبة السنة ثانية ماستر، وكافة أساتذة قسم اللغة والأدب العربي،

إلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد.

وإهداء موصول إلى كل من ساهم في تقديم يد العون لتحرير هذا العمل المتواضع.

إهــداء

أهدي تخرّجي إلى النّور الذّي أنار دربي، والسّراج الذي لا ينطفئ نوره أبدا، **"والدي العزيز"**.

إلى من أخصّ الله الجنّة تحت قدميها وغمرتني بالحبّ والحنان وأشعرتني بالسّعادة والأمان **"والدتي العزيزة"**.

إلى سندي الوحيد أخي **"ضياء الدين"**.

إلى رفيقة دربي **"بثينة زقابي"**.

إيمان

مـقـدّمـــة

المقدّمة

إنّ موضوع الهويّة في الفكر الجزائري الحديث من أهم المواضيع الجديرة بالبحث كما أنّها من المواضيع المتناولة في الوطن العربي.

فاختلفت الآراء حول الهوّية الجزائريّة التّي فجّرت ثورة التّحرير، ناهيك عن اللّغة التّي عبّرت عن هذه الهويّة، لذا نتناول هذا الموضوع بالبحث نظرا لخصوصيته وأهميته ومن هذه الاعتبارات اخترنا بحثنا هذا الذّي يحمل عنوان **"ملامح الهويّة في الرّواية الجزائريّة الفرنكفونيّة" رواية فضل اللّيل على النّهار لياسمينة خضرا ــ أنموذجاــ "**.

موضوع البحث واضح نوعا ما من خلال عنوانه الذي يحدّد الالتباسات الكامنة في الهوّية الجزائريّة لدى الأدب الفرنكفوني، ولعلّ أحسن ما يجسّد هذه الالتباسات هي الرّواية التّي تعدّ الجنس الوحيد الذّي لديه الطّاقة للتّعبير عن مكامن الأمّة، و" **ياسمينة خضرا** " من خلال روايته **"فضل اللّيل على النّهار"** يريد الكشف عن حقيقة كامنة محصّنة لا يمكن محوها أو إهمالها حيث وظّف جميع الرّموز التّي تحمل في دلالاتها أن الجزائر بمعالمها وأرضها وشعبها هي عربيّة جزائريّة لكنها قد تصبّغت وترجمت بلغة أجنبيّة، وهذا ما اصطلح عليه بتسمية **"الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسيّة"**.

هذا الأدب الذّي كثيرا ما نقرأ عنه في بعض الكتب العلميّة والدّراسات الأدبيّة التّي تناولت الأدب الجزائري، إذ أن هذا الأخير المكتوب باللّغة الفرنسيّة يختلف شكلا ومضمونا عن الأدب الفرنسي الذي كتبه الفرنسيون الذّين ولدوا في الجزائر.

فمثل هذه القضايا العلميّة، ومثل هذه المناقشات التي أثيرت حول ظاهرة هويّة الأدب العربي المكتوب باللّغة الفرنسيّة والأدب الفرنسي المكتوب عن الجزائر، هي التّي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع وهي التّي حثّتنا وشجّعتنا على البحث في هذا الميدان قصد الوصول إلى

بعض الحقائق حول الموضوع، إضافة إلى اهتمامنا الخاص بموضوع الصّراع بين الشّرق والغرب وحب الكشف والتّطلع على الثّقافة العربيّة الجزائريّة وتوضيح الصّورة الحقيقيّة للهّوية الجزائريّة التّي لا طالما وقع حولها الجدال.

ويحلينا هذا البحث إلى مجموعة من الإشكاليّات منها:

هل استطاع هذا الأدب الفرنكفوني أن يترجم الأوضاع السّياسية والثّقافية والاجتماعيّة للحياة الجزائريّة؟

كيف تجلّت ملامح الهويّة في رواية "**فضل اللّيل على النّهار**"؟

وفي الأدب الجزائري توجد العديد من الدّراسات في هذا الموضوع لكن من زوايا عدّة ومختلفة، لذا حاولنا أن نلقي الضّوء على أهم جوانب الهوّية في الأدب الفرنكفوني الجزائري من خلال رواية " **فضل اللّيل على النّهار** "، ومن أهم هذه الدّراسات التّي تناولت هذا الموضوع نذكر: "إشكاليّة الانتماء القومي للأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسيّة" لمبروك قادة، و"اللغة الفرنسية كأداة للتعبير الأدبي المغاربي وقضية الأصالة" لعلي محمد الشّويهدي.

وقد استخدمنا في بحثنا العديد من المصادر والمراجع نذكر منها: كتابي "الفرنكفونيّة مشرقا ومغربا" و"القصة الجزائرية القصيرة" لصاحبهما "عبد الله الركيبي"، وكتاب الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي نشأته وتطوّره وقضاياه لصاحبه "أحمد منوّر".

أمّا المنهجيّة المتّبعة فقد حاولنا بقدر الإمكان استخدام المنهج التّحليلي، كما استعنا كذلك بالمنهج التّاريخي، للحصول على أنواع المعرفة عن طريق الماضي بقصد دراسة وتحليل بعض المشكلات الإنسانيّة والعمليّات الاجتماعيّة وذلك لأنه كثيرا ما يصعب علينا فهم حاضر الشّيء دون الرّجوع إلى ماضيه، ودراسة الحوادث والوقائع السّابقة من أجل تحليل الوقائع التي تشكّل الحاضر.

كما لا يخفى على أحد ما يرافق هذا العمل من صعوبات وعوائق يتمثل بعضها في جمع المادّة وتصنيفها، والبعض الآخر في كيفيّة التّنسيق بين الأبواب والفصول، إضافة إلى الجائحة الوبائيّة التّي جاءت على العالم ككل، والمتمثّلة في فيروس كورونا المستجد ـــــــ كوفيد 19.

ومن أجل تحديد خطوات البحث فقد حاولنا الاعتماد على التّقسيم التالّي:

ـــــــــــ رأينا أولا أن نستهل الموضوع بمدخل تطرقنا من خلاله إلى نشأة وتطوّر الرّواية الفرنكفونية، وذلك برصد جميع العوامل التّي ساهمت في نشأتها، والمسار الذي مرت به، إضافة إلى الإشكاليّة المتعلّقة بهويّتها وأصلها.

ومن هنا قدَمنا الأسس النّظرية والمنهجيّة التّي تقوم عليها خطّة البحث:

أعطينا الفصل الأول عنوان: **"الرواية الجزائرية الفرنكفونية"** ويضم أربعة أبواب، تناولنا فيها مفهوم الهوية بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، وأهم أسسها ومقوّماتها، كما تطرّقنا في الحديث إلى إشكاليّة هويّة الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسيّة، وتحدّثنا أيضا عن تيمة الثّورة وحضورها المكثّف في هذه الإبداعات، كما تحدّثنا عن الرّواية الجزائريّة وإشكاليّة اللّغة الموظّفة في هذه الرّوايات. فجاءت الأبواب معنونة كالآتي:

ـــــــــــ مفهوم الهويّة

ـــــــــــ إشكاليّة هويّة الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسيّة.

ـــــــــــ الثّورة والهويّة.

ـــــــــــ إشكاليّة اللّغة في الرّواية الفرنكفونيّة.

لننتقل بعدها إلى الجانب التّطبيقي أي الفصل الثّاني:

فهو دراسة تطبيقيّة عن رواية **"فضل اللّيل على النّهار"** وفيه قراءة بسيطة للرّواية، هذه الأخيرة التّي هي فرنسيّة من حيث اللّغة واللّسان، لكنّها عربيّة من حيث دلالاتها ورموزها والرّوح التّي كتبت بها.

هذا الفصل عنوانه "تجلّي ملامح الهوّية في رواية فضل اللّيل على النّهار" الذّي يحتوي بدوره على بابين، الباب الأوّل تناولنا فيه ترجمة للرّوائي **"ياسمينة خضرا"** والمواضيع المتطرّق إليها من خلال رواياته، وقدّمنا فيه ملخص للرّواية المدروسة لنضيف بذلك لمحة بسيطة عنها. أمّا الباب الثّاني فهو بعنوان **"ملامح الهوية في الرواية"** ونعني هنا الرموز والدّلالات التّي اعتمدها الرّوائي أثناء معالجته لموضوعه، ومنها الملامح البيئيّة التّي تظهر من خلال الجبال التّي كانت نقطة انفجار الثّورة التّحريريّة والتّي هي رمز الشّموخ والقوّة حيث كانت مركز تحوّل في تاريخ الجزائر القديم من الرومان وصولا بذلك إلى الاحتلال الفرنسي، ثمّ أسماء بعض الأماكن والحيوانات التّي هي رمز للعروبة والأصالة، لتليها بعد ذلك ملامح شخصيّة ونقصد بها أسماء الأعلام سواء أكانت أسماء عربية أو فرنسية، ثم الملامح الثّقافيّة من لغة ودين وتاريخ وعادات وتقاليد فحاولنا التّوضيح أن هذه الرّواية قد كتبت باللّغة الفرنسيّة لكنّها عن واقع محلّي جزائري، فالرّواية ذات هويّة عربيّة بموضوعاتها لا بلغتها.

وأخيرا الخاتمة التّي تناولنا فيها أهم النّتائج المتوصّل إليها من خلال هذا البحث والذي حاولنا من خلاله إبراز حقبة تاريخيّة وثقافيّة وحضاريّة للأمّة الجزائريّة، فإن ذلك كلّه لا يمكن أن يكون تعبيرا مطلقا عن تراث وحضارة هذا المجتمع الذي هو أعمق ممّا قدّمناه.

لذلك نرى بكل تواضع أن هذه النّتائج ما هي إلا بدايات أوليّة لبحوث مستقبليّة.

وفي الختام ما يسعنا إلاّ أن نتقدّم بجزيل الشّكر إلى الأستاذ المشرف **"يزيد مغمولي** "الذّي منحنا من وقته ومن علمه لنصل إلى ما نحن عليه.

مـدخـل

الرّواية الفرنكفونيّة النّشأة والتّطور

أوّلا = أوّليّات الرّواية الفرنكفونيّة

ثانيا = مسار الرّواية الفرنكفونيّة

المدخل

الرّواية الفرنكفونيّة ـ النّشأة والتّطوّر

أولا = أوليّات الرّواية الفرنكفونيّة في الجزائر

الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسيّة هو ذلك الأدب الذّي كتبه الأدباء الجزائريّون باللّغة الفرنسيّة سواء كان ذلك قبل الثّورة التّحريريّة أو أثنائها أو بعدها، فهذا الإبداع لم يكتب باللّغة الأمازيغيّة أو العربيّة (اللّغات الوطنيّة)، بل كتب بلغة المستعمر نفسه.

وقد أسهمت مجموعة من العوامل في نشأة الأدب الفرنكفوني لعل أبرزها الاستعمار الفرنسي الذّي سعى جاهدا إلى محو معالم الهويّة الجزائريّة العربيّة الإسلاميّة، مستخدما في ذلك شتى الوسائل والطّرق، نذكر منها:

ـــ شن الحملات التّبشيريّة وتشجيعها بهدف القضاء على الدّين والمعتقد الإسلامي للشّعب الجزائري.

ـــ غلق المدارس القرآنيّة والزّوايا لمنع تلقين الجزائريّين لغتهم ودينهم.

ـــ إنشاء مدارس فرنسيّة التّي احتوت الغالبيّة من الفرنسيّين، لجعل اللّغة الفرنسيّة هي اللّغة الرّسميّة في البلاد على أساس أنها لغة حضارة.

وفي خضم الحديث عن الأدب الفرنكفوني، وبالأخص الرّواية على أساس أنها الجنس الأدبي الذّي اعتمده الجزائريّون للتّعبير عن انشغالاتهم وأحاسيسهم ومكبوتاتهم، مما أدّى إلى الخوض في غمار إشكاليّة تعرّض لها هذا الأدب تعلّقت بهويّته وأصله.

خصّت هاته الإشكاليّة اللّغة التّي كتب بها هذا الأدب باعتبارها لغة دخيلة على المجتمع الجزائري ممّا أدّى إلى الاعتقاد بأنه أدب فرنسي، وبذلك حدث الخلط بين الرّوائيّين الجزائريّين والآخرين الأوربيّين الذّين ولدوا في الجزائر، إذ احتضنوا الجزائر موضوعا لإبداعاتهم أمثال "ألبير كامو" و"جون سيناك" حيث العديد منهم « **تناولوا مواضيع جزائريّة أبدوا من خلالها اهتماما أصيلا بمشاكل الجزائريّين**» [1]، وقد ظلّ الفرق بارزا بين الأدب الفرنكفوني المكتوب

1ـــ عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي في الجزائر، (1925ـــ1967)، تر: محمد صقر، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1962م، ص 53.

من قبل الأدباء الجزائريّين وأولئك الفرنسيّين الذّين ولدوا في الجزائر «**فاستعمال لغة مشتركة وهي الفرنسيّة لم يوجد وحدة وتماثلا بين الكتّاب الجزائريّين والكتّاب الفرنسيّين، ولا يمكن هذا الاختلاف في الأساس أو الخلفيّة التّعليميّة التّي تعتبر متماثلة غالبا بالنّسبة لكلا الفئتين، بل يرجع لعوامل جغرافيّة واجتماعيّة وتاريخيّة تخضع لها كل منها، فالجزائريّون هم الثّمرة المباشرة لأرضهم... في حين أن الفئة الأخرى متعلّقة بالأرض فقط**»[1]، ممّا أدّى بالضّرورة إلى ربط عبارة "الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية" بذلك الأدب الذي كتب من قبل الأدباء الجزائريّين الذّين حملوا على عاتقهم هموم أمّتهم، أمّا بالنّسبة إلى ما كتبه الأدباء الفرنسيّين فهو أدب فرنسي كتب في الجزائر يعبّر عن السّياسة الاستعماريّة.

فالثّقافة الفرنسيّة التّي يحوز عليها الرّوائيون الذّين يكتبون بالفرنسيّة لا تجعل توجّههم فرنسي، لأن هذه الثّقافة فرضت نفسها عليهم، وينطبق هذا الطّرح على الرّوائيون الجزائريّون الذّين عاشوا في كنف الاستعمار(الجيل الأول) إذ لم يتمكّنوا من إتقان اللّغة العربيّة، هذا ما أدّى بهم إلى عدم القدرة على الاطلاع على الكتب التّي تحوي الطّابع العربي الإسلامي، لكن هذا لا ينفي جهلهم التّام لها.

في حين الجيل الثّاني والثّالث، رغم استعمالهم لنفس للّغة نفسها، إلاّ أنّ الوضع مختلف، فبعض أدباء هذين الجيلين يكتب باللّغتين نظرا لازدواج المنبع، فمكوثهم في فرنسا كان سببا في اكتساب الثّقافة الفرنسيّة، لكن روحهم بقت جزائريّة، وهناك من نادى بهذه الازدواجيّة «**فعندما تندمج الرّوح الشّرقيّة للجزائر بالثّقافة الفرنسيّة التّي يستخدمها الكتّاب الجزائريّون تكون النّتيجة أدبا أصيلا، فالأدب الجزائري مع ما له من خصائص عربيّة عديدة تميّزه يختلف عن الأقطار العربيّة، بحيث لم يكن للاستعمار تأثير مشابه على التّعليم والثّقافة.**»[2]

ثانيا = مسار الرواية الفرنكفونية

1ــ عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي في الجزائر(1925ــ19678)، مرجع سابق، ص53.

2ــ حفناوي بعلي، أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، د.ط، 2004، ص 156.

وقد مرّ الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في نشأته بمراحل عديدة نذكرها:

1 ــ الأدب الاستعماري

نشأ في المدارس المختلطة التي أنشأتها فرنسا في الجزائر على يد جزائريّين مثقّفين يملكون رؤية شاملة للعالم جعلتهم يدركون ما يجري في وطنهم، فجعلوا من اللّغة الفرنسيّة أداة للدّفاع عن حقوقهم وحقوق شعبهم ونيل حريّتهم، عن طريق كتابات قصصيّة تساير الواقع المعاش وتكشف القناع عن السيّاسة الاستعماريّة، إذ تعود اللّبنة الأولى لظهور هذا الأدب إلى سنة 1891م «**عبارة عن قصّة بعنوان "انتقام الشّيخ"... كتبها محمّد بن رحّال**»[1] ، تضمّنت هذه الأقصوصة محاولة متواضعة لجزائري يسعى جاهدا للاهتمام بوضعيّة شعبه تحت ويلات الاستعمار، وهي « **مستقاة ـــــ حسب ما يذكر ديجوـــــ من التّقاليد الاجتماعيّة الجزائريّة**»[2]، ولأهمية هذا العمل الذّي يعتبر الإرهاصات الأولى فقد «**نشرتها المجلّة الجزائريّة التّونسيّة، الأدبيّة والفنيّة**»[3].

بقي الوضع مستقرا على حاله والجزائر تعيش نوع من الرّكود الثّقافي إلى غاية ظهور محاولة جديدة تستحق الاهتمام والدّراسة عبارة عن مجموعة قصصيّة جمعت في كتاب تحت عنوان "مسلمون ومسيحيون" سنة 1912 م مع "أحمد بوري".

2ــ الأدب الاستعماري الاندماجي

بدأ هذا الأدب بمحاولات لمجموعة من الأدباء أطلق عليهم اسم النّخبة والذّين «**اقتنعوا أيّما اقتناع بأن فرنسا قد نجحت في مهمّتها الحضاريّة في الجزائر، إذ كان لابد من إظهار شيء ما أمام الرّأي العام العالمي والفرنسي، يبرّر استمرار احتلال البلاد**»[4]، وكأنهم يثبتون بأن فرنسا همّها الوحيد تخليص الجزائريّين من الأمّية والتّخلف، فدعت جميع أعمالهم إلى الاندماج بين كلا الطّرفين، وإظهار العلاقة بينهما على أنها علاقة حب ومودة لهذا « **فإنهم**

1ــ أحمد منوّر، الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي نشأته وتطوّره وقضاياه، دار التّنوير، الجزائر، ط1، 2013، ص 73.

2ــ المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

3ــ المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

4ــ سامية إدريس، الرّواية الجزائريّة الحديثة بين الهويّة الثّقافيّة والهويّة السّردية، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، أعمال اليوم الدّراسي (الرّواية بين ضفّي المتوسط)، الجزائر، 2011م، ص 15.

كانوا يشيدون صراحة وبلا تحفّظ بفضل الاستعمار على البلد ويظهرون إعجابهم بالثّقافة والحضارة الفرنسيّتين.» [1]

استمر هذا التّوجه إلى سنة 1948م، أطلق على هذه المرحلة مرحلة المثاقفة والتّقليد، نظرا لما يظهره الأدباء الجزائريّون من حب ومودة نحو الفرنسيّين، فكتابات تلك الفترة لم تكن جميعها منافية للاستعمار حيث «**كان كتاب مرحلة ماقبل الخمسينيّات يكتبون للفرنسيّة إرضاء لفرنسا، وللفرنسيّة، وليس للتّعبير عن واقعهم وواقع شعبهم المضطهد**» [2]

سنة 1948م بدأ التّساؤل يطرح حول مدى إمكانيّة اندماج الجزائريّين مع الفرنسيّين، هذه الفكرة نادى بها أقلّية من الجزائريّين لذلك أطلق عليها بمرحلة التّحول في الكتابة بالنّسبة للنّخبة الجزائريّة.

اعتبر "جون ديجو" مؤرّخ الأدب الفرنكفوني «**سنة 1920م البداية الفعليّة لهذا الأدب، وذلك تزامنا مع صدور أوّل رواية بعنوان "أحمد بن مصطفى القومي" لصاحبها "القايد بن شريف"**»[3]، وظهرت بعدها روايات أخرى مثل "زهرة زوجة المنجمي" لـــ "عبد القادر الحاج حمّو" سنة 1925م، ورواية "مأمون بدايات مثل أعلى" لـــ "شكري خوجة" سنة 1928م، ورواية "العلج أسير بربروسيا" سنة 1929م لنفس المؤلف.

رغم أن هذه الرّوايات لم تتصد للواقع المزري للشّعب الجزائري، إلا أنها كانت لها القدرة على كشف « **بعض الآثار السّلبيّة التي انتشرت في المجتمع نتيجة الاحتكاك بالثّقافة الدّخيلة منها الإدمان على الخمر، لعب القمار، الظّاهرتان اللّتان عالجتهما تباعا روايتي "زهرة امرأة المنجمي" ورواية "مأمون بدايات مثل أعلى"**»[4]

أما الرّوايات الصّادرة لاحقا فقد عالجت انتماء الجزائريّين الضّائعين بين القيم العربيّة الإسلاميّة الأمازيغيّة والقيم الفرنسيّة المفروضة عليهم عنوة، ومن بين هذه الرّوايات نذكر: « **مريم بين النّخيل سنة 1934م لمؤلفها محمّد ولد الشّيخ، بولنوارـــ الجزائري الشّاب لرابح زناتي**

1ـــ أحمد منوّر، الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي نشأته وتطوّره وقضاياه، مرجع سابق، ص 79.

2ـــ يوسف الأطرش، المنظور الرّوائي عند محمد ديب، منشورات اتّحاد الكتّاب الجزائريّين، الجزائر،د.ط، 2004، ص41.

3ـــ أحمد منور، الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي نشأته وتطوّره وقضاياه، مرجع سابق، ص 74.

4ـــ المرجع نفسه، ص 147.

وكذا رواية ليلى فتاة جزائرية لجميلة دباش»[1]، كان موضوع هذه الرّوايات هو البحث عن الذّات.

كانت هذه هي المميّزات التّي اصطبغت بها الرّواية الجزائرية المكتوبة باللّغة الفرنسيّة منذ بداياتها، ثم مسّها التّغيير تزامنا مع الأحداث العالميّة مثل انتهاء الحرب العالميّة ومجازر 8ماي 1945م، ممّا أوجد كتابة ذات شكل مخالف.

3ـــ الأدب الاستعماري الثوري:

تزعّم هذا التّوجه "محمد ديب" وقد ولّد هذا التّوجه الدّهشة في الأوساط الفرنسيّة، فقد اتخذ "محمد ديب" اللّغة الفرنسيّة سلاحا لفضح حقيقة فرنسا كاشفا «**به عن زيف ادّعاءاتها أمام العالم، مجسّدا حقيقة الظّلم والعدوان الذّي يتعرّض له الشّعب الجزائري، وبهذا سمي هذا التيار بأدب المقاومة**»[2]

ومن بين الرّوايات التّي برزت في هذه المرحلة رواية "نوم العادل" لـــ "مولود معمري" سنة 1955م، التّي صوّرت حالة الشّقاء والبؤس التّي تكابدها القرى والمداشر القبائليّة، ورواية "نجمة" لـــ "كاتب ياسين" سنة 1956م التّي ينقل فيها الرّوائي مظاهر الظّلم والاستبداد الذّي مارسه الاستعمار الغاشم على الشّعب الجزائري، بالإضافة إلى مجازر 8ماي 1945م وما عاناه الشّعب الجزائري من قمع في سبيل تحصيل الحريّة والعدالة.

عالجت هذه الرّوايات وضع الجزائر في تلك الفترة، فقد واكب الكتّاب أحداث تلك المرحلة في تاريخ الجزائر فصوّروا الثّورة المسلّحة والمقاومة الشّعبية وتضحيات الشّعب وما تعرّض له من أبشع أشكال التّعذيب والتّهجير، ومن هذه الرّوايات «**رواية "الانطباع الأخير" الصّادرة سنة 1958م وكذا "التّلميذ والدّرس" الصّادرة سنة 1960م و"رصيف الأزهار لا يجيب" الصّادرة سنة 1961م وكلّها لمؤلّفها "مالك حداد"، ورواية "صيف إفريقي" لـــ "محمد ديب" الصّادرة عام 1959م.**» [3]

4 – رواية ما بعد الاستقلال

1ـــ المرجع نفسه، ص 81.

2ـــ عبد المجيد حنّون، صورة الفرنسي في الرّواية المغاربيّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، د.ط، 1986، ص 99.

3ـــ سامية إدريس، الرّواية الجزائريّة الحديثة بين الهويّة الثّقافيّة والهويّة السّرديّة، مرجع سابق، ص 117.

رغم الاستقلال إلاّ أنّ الأعمال الأدبيّة لم تخل مواضيعها من الحديث عن الثّورة نظرا لأهمّيتها في رسم معالم جديدة وأبديّة للشّعب الجزائري، نذكر من هذه الرّوايات التّي صدرت في « **فترة السّتينات رواية "أطفال العالم الجديد" الصّادرة عام 1962م للروائيّة آسيا جبّار ورواية "الأفيون والعصا" 1965م لمولود معمري.** »[1] فهذه الرّوايات عمّقت الشّعور بالوعي الوطني وأشادت بالثّورة الجزائريّة وبطولات شعبها، ووجّهت الجماهير نحو واقع أدبي أحسن لإنقاذ الأمّة من مخلّفات الاستعمار.

استمرّ هذا التّوجه إلى غاية السّتّينات والسّبعينات على هذا النّحو إلى أن ظهرت موضوعات أخرى برزت من خلالها شخصيّات تعاني أزمة الانتماء من خلال روايات مثل « **"ذاكرة الغائب" 1974م، ومثل "المنفى والحيرة" 1976م، التّي تطرح العديد من الأسئلة حول الهويّة الجزائريّة الملتبسة، والثّقافة الأصيلة المغيّبة، وكذا الأمر في بعض أعمال الطّاهر جاووت.** »[2]

كانت هذه الرّوايات اللّبنة الأولى لميلاد اتّجاه جديد داخل الأدب الفرنكفوني، فقد تطوّرت مضامين هذه الرّوايات التّي شكّلت نقطة تحوّل في تاريخ الرّواية الجزائريّة حيث تخطّت الصّورة المقدّمة سابقا عن العلاقة الحميمة بين الإدارة الفرنسيّة والأهالي لتغوص في واقع الشّعب الذّي عانى القهر لحقبة طويلة منها « **رواية "الدّار الكبيرة" لمحمد ديب سنة 1952م التّي قام فيها بوصف ما يعيشه الشّعب تحت وطأة الاستعمار من بؤس وجوع، وكشف النّقاب عن فئة جديدة تعرف بالمناضلين الذّين يعيشون بين أفراد الطّبقات الدّنيا من الشّعب وينشطون في الخفاء، والحال ذاته بالنّسبة لما جاء بعدها من روايات لنفس الكاتب خاصّة روايتي "الحريق" الصّادرة سنة 1954م و"النول" التّي صدرت عام 1957م.** »[3]

أمّا بالنّسبة للرّوايات الصّادرة في فترة السّبعينات والثّمانينات فمنها من لم يخرج عن موضوع الثّورة، ومنها من سلّطت الضّوء على الأوضاع السيّاسيّة والاجتماعيّة بهدف تحسين الواقع المعيشي.

1ـــ سامية إدريس، الرّواية الجزائريّة الحديثة بين الهويّة الثّقافيّة والهويّة السّرديّة، مرجع سابق، ص117.

2ـــ أحمد منوّر، الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي نشأته وتطوّره وقضاياه، مرجع سابق، ص 100.

3ـــ سامية إدريس، الرّواية الجزائريّة بين الهويّة الثّقافيّة والهويّة السّرديّة، مرجع سابق، ص 117.

5 – رواية الأزمة المكتوبة باللّغة الفرنسيّة

ظهرت هذه الرّوايات في فترة التّسعينات حيث طغى عليها الطّابع السّياسي، فتحوّلت بذلك الرّواية إلى حلقة صراع لمختلف التّيارات التّي أثّرت على فئات المجتمع.

جسّدت هذه الرّوايات الأوضاع التي آلت إليها الجزائر من ظروف عيش متدنّية وبطالة ولا مساواة بسبب سياسة الحزب الواحد، ممّا أدّى إلى انتفاض الجزائريّين مطالبين بتحسين أوضاعهم المعيشيّة، إضافة إلى العصيان المدني والاضطرابات التّي شهدها الوطن بسبب تصاعد المد الإسلامي الذّي يحاول استعادة مكانته المسلوبة، وهذا ما حوّل العنف السّياسي إلى عنف دموي استمر عشريّة كاملة.

من هذه الأعمال الإبداعيّة التّي واكبت الأحداث روايات "رشيد ميموني" المتمثّلة في "شرف القبيلة" سنة 1989م، ورواية "حزام السّفلة" و"حزن العيش" سنة 1993م، التّي صوّرت اعتصام الإسلاميّين في ساحة أول ماي سنة 1991م، وهذا ما جعل هذه الرّوايات تحمل اسم الأدب الاستعجالي، الرّواية السّوداء أو الرّواية الصّحفيّة «**هذه التّسمية التّي وردت في فرنسا، أين كان الاهتمام برواية المحنة الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة خاصة سلسلة روايات ياسمينة خضرا**»[1] فقد جاءت معبّرة عن الأزمة بكل أبعادها من خلال فعل المواكبة للأحداث الذّي اتصفت به أعماله الروائيّة.

1ــ زهرة ديك، ياسمينة خضرا "هكذا تكلّم"، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2013م، ص 111.

الفصل الأوّل

الرّواية الجزائريّة الفرنكفونيّة

أوّلا = مفهوم الهويّة

ثانيا = هويّة الأدب الفرنكفوني

ثالثا = إشكاليّة اللّغة في الرّواية الفرنكفونيّة

رابعا = الثّورة والهويّة

الفصل الأول

الرّواية الجزائريّة الفرنكفونيّة

أولا:الهويّة

1- مفهومها

تسعى الشّعوب والأمم على اختلافها من توجّهات ومكوّنات ثقافيّة واجتماعيّة وأديان إلى إيجاد شيء يميّزها عن غيرها، ويجعل لها مكانة فريدة تتّصف بها، لتحقيق الارتقاء والتّميز والتّقدم الذّي يميّز أمّة عن أخرى ومن هنا جاء مفهوم الهويّة.

لقد حاز مفهوم الهويّة في السّنوات الأخيرة اهتمام عدد كبير من المؤلّفات والأبحاث المختلفة، التّي تمحور انشغالها بسؤال وطرح الإشكال عن الهويّة فاتّجهت تطرحه من زوايا متعدّدة وهذا ليس بالأمر الجديد بل إنه موضوع قديم قدم الإنسانيّة. إذ لا ينطبق مفهوم الهويّة على مفهوم واحد بل العكس فقد تعدّدت واختلفت مفاهيمها لدى الفلاسفة وعلماء الاجتماع وعلماء النّفس، إذ اعتبرت من المسائل التّي نالت الحظ الوافر لدى الأدباء والتّي احتدم حولها الجدل الأدبي في الجزائر وبالأخص في السّنوات الأخيرة «**حيث دخلت بقوة ساحة البحث الأدبي والجدل السّياسي، وأصبحت من العبارات الكثيرة التّداول على الألسن، فهي تتنوّع وتتعدّد في معناها باختلاف الانتماء السّياسي.**»[1]

إنّ الهويّة متجذّرة في وعي وفكر الإنسان منذ القدم، عمل جاهدا إلى التّمسك لأجل بناء حضارة راقية والعيش برفاهيّة، إذ من لا هويّة له لا وجود له، خاصّة في المجتمعات القديمة بحكم السّياسات المتّبعة، وإذا رجعنا إلى مفهوم الهويّة نجد أنه لمسها الغموض والإبهام في العديد من الجوانب واختلفت حولها العديد من الآراء إذ عرفت الهويّة في **المنجد** بأنها «**حقيقة الشّيء أو الشّخص، المطلقة المشتملة على صفاته الجوهريّة.**»[2]

1ــ أحمد منوّر، الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي نشأته وتطوّره وقضاياه، مرجع سابق، ص 11.

2ــ لويس معلوف، المنجد في اللّغة والأدب والعلوم، نسخة إلكترونيّة، ص 875.

و في **المعجم الوسيط** عرّفت أنّها «**الهو في التّصوف الغيب الذّي لا يصحّ شهوده للغير كغيب الهويّة المعبّر عنه كنه باللاتعين، وهو أبطن البواطن الهويّة في الفلسفة حقيقة الشّيء أو الشّخص التّي تميّزه عن غيره، وبطاقة يثبت فيها اسم الشّخص وجنسيته ومولده وعمله، وتسمى البطاقة الشّخصيّة أيضا.**» [1]

إذ كل باحث ودارس ذهب يعرّفها من رأيه الخاص ووجهة نظره وفق ما يتلاءم مع آرائه وفلسفته. كما جاءت لفظة الهويّة في **لسان العرب** بأنها « **قال: هويّة تصغير هوّة، وقيل الهويّة بئر بعيدة**»[2]، كما عرّفت في **القاموس المزدوج** «**الهويّة:هوية** identity personality»[3] معناها أنّها مشتقّة من الكلمة اللاتينيّة "Iden" التّي تطلق على الأشياء أو الكلمات المتماثلة مع الاحتفاظ باختلاف بعضها عن البعض كما شرحت وجاء معناها في **قاموس لاروس** تعني «**هويّة identité = بطاقة أوراق**»[4]

أمّا الجرجاني فشبّهها بالنّواة التّي تشتمل على جوهر وحقيقة الشّيء المطلق مثل اشتمال النّواة على شجرة في الغيب المطلق، معنى هذا أن النّواة تحوي جميع صفات الشّجرة مثل الهويّة إذ تختزل جميع الحقائق والمعلومات الجوهريّة للشّخص الذّي يتميّز عن غيره من الأشخاص وفي هذا السّياق نجده قائلا «**الهويّة: الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشّجرة في الغيب المطلق والهويّة السّارية في جميع الموجودات: ما إذا أخذ حقيقة الوجود لا بشرط شيء ولا بشرط شيء**»[5]

كما عرّفتها **الموسوعة الفلسفيّة** «**الهويّة (مقولة تعبّر عن تساوي وتماثل موضوع أو ظاهرة ما مع ذاتها) ويتطلّب تعيين هويّة الأشياء أن يكون قد تم تمييزها مسبقا ومن ناحية أخرى، فإن**

1ـــ إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، الجزء 1و2، دار الدّعوة، القاهرة، 1982م، ص1058.

2ـــ ابن منظور، لسان العرب ، دار الحديث، القاهرة، الجزء 9، 2003م، ص 17.

3ـــ القاموس المزدوج، مكتب الدّراسات والبحوث، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط5، 2009، ص620.

4ـــ دانيال ريغ، لاروس السّبيل، مكتبة لاروس، باريس، 1983م ، ص5750.

5ـــ السّيد الشّريف علي بن محمّد الجرجاني، كتاب التّعريفات، دار الإيمان للنّشر والطّبع والتّوزيع، الإسكندريّة، 2004، ص 274.

الموضوعات المختلفة غالبا ما تحتاج إلى تحديد هوّيتها بهدف تصنيفها، هذا يعني أن الهويّة ترتبط ارتباطا لا يمكن فصمه بالتّمييز بين الأشياء»[1]

الهوّية موضوع فلسفي بأصالة، «**عالجه الفلاسفة المثاليون والوجوديون على حد السّواء، المثاليون ميتافيزيقيا، وحولوه إلى قانون، قانون الهويّة. والوجوديون نفسيا منعا لانقسام الذّات على نفسها ومن ثم إنكار الوجود الإنساني. وقد يصبح عند بعض الفلاسفة القانون الأول في الفكر وفي الوجود مثل فشته. والغيريّة ليست قانونا مستقلا بذاته مغايرا، بل هو نفي للهويّة "اللاأنا" ويكون القانون الجدلي: الأنا. نقيض الموضوع: اللاأنا. مركّب الموضوع "الأنا المطلق"**»[2]

أما عند الواقعيّين هي تكرار لفظي للضّمير المنفصل "**هو**" إذ من البديهي أن يطابق الشّيء ذاته وأن لا ينفصم عنها في غيره، تعتبر هذه الطّريقة بالنّسبة للوضعيّين مشكلة زائفة مثل معظم القضايا الميتافيزيقيّة .

هناك من نظر إليها على أنّها تتميّز بطابع الوحدة المرتبطة بالذّات «**حيث قدّمت دوما على أنها تتمتع بطابع الوحدة**»[3]

وقد شملت الهويّة أيضا علماء الاجتماع الذّين بذلوا قصارى جهدهم لوضع مفهوم محدّد للهويّة أمثال "**جونكر**" الذّي عرّفها «**جزء مكمل للحياة الاجتماعيّة وهي تتشكّل فقط عبر التّميز بين هويات مختلف الجماعات والتي يمكن ربطها بأناس آخرينوالإطلاع على مختلف الهويّات يعطي الإشارة عن نوع الفرد الذّي يتعامل معه ومن ثمة كيفية الارتباط به**»[4]، وبالتّالي فالهويّة تعبّر عن الفرد وتقدم له الكثير من المعلومات التّي تخصّه وتوضّح له الطّريقة التّي يتعامل بها، استنتج "**جونكر**" أن لا وجود لمجتمع دون هويّة اجتماعيّة إذ يقول «**لن يكون هناك مجتمع**

1ـــ إشراف م. روزنتال،وب، يادين، الموسوعة الفلسفيّة، تر: سمير كرم، دار الطّليعة، بيروت، ط4، 1981.

2ـــ حسن حنفي، الهويّة، دار الكتب والوثائق العلميّة، القاهرة، ط1، 2012، ص 9.

3ـــ عبد السّلام بن عبد العالي، هايدغر ضد هيجل، التّراث والاختلاف، دار التّنوير، للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2002م، ص 82ـــ83.

4ـــ هارلمبس وهولبورن، سوسيولوجيا الثّقافة والهويّة، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص 94ـــــــ95.

بدون هويّة اجتماعيّة»[1]، لذا تعد ظاهرة اجتماعيّة تحدّد ماهية المجتمع من حيث التّركيبة البشريّة وأن هويّة المجتمع جزء لا يتجزأ من هويّة الفرد وفي هذا السّياق نجد ما يدل على صحّة هذه المقولة «**ظاهرة اجتماعية تحدّد ماهية المجتمع من حيث هو تركيبة بشريّة مكوّناتها كثيرة متداخلة متشابكة، تركيبة متطوّرة باستمرار، فيها الثّابت والمتحوّل، وهويّة المجتمع وهويّة الفرد جزء منه، يتّخذ بالعناصر الاجتماعيّة الثّابتة في المجتمع والتّي لا يوجد المجتمع من دونها**»[2]

كما احتلت الهويّة موقعا للدّراسة عند "**ويليام جيمس**"هذا الأخير من الأوائل الذّي استعمل هذا المفهوم واعتبر أن الذّات «**مجموعة كليّا لما يستطيع الفرد أن ينسبه لنفسه**»[3]، كما عدّت من المنظور النّفسي أنها «**وحدة الأنا وتعني وحدة الأنا الإحساس الأنوي، بأنّي أنا هو أنا بكافة الأحوال والأزمنة وهي في الآن نفسه ما تميّز الأنا عن غيرها من الأنوات**»[4] معنى هذا أن الهويّة عبرت بكل أريحيّة عن كينونة الفرد وذاته لذلك ارتبطت الذّات بالهويّة ارتباطا وثيقا عند النّفسيين إذ هي «**مجموعة الخصائص والمميّزات التّي تمنح الذّات كيانها وتحقّقها الفعلي ولاشك أن معرفة هذه الذّات أو الأنا يقتضي علاقة ما بذوات أخرى فلا تتّضح معالم هذه الذّات إلا بمواجهتها لتلك الذّوات الأخرى**»[5]

اعتبرت الهويّة بمثابة الخاصيّة البارزة لأي شعب من الشّعوب والمرآة العاكسة له لابد منها لاستمراريّة الأمّة إذ تحدّد ماهية الإنسان فهي الموحّدة للشّعوب وهذا ما يثبت صحّة القول «**لا وجود لشعب دون هويّة، فالهويّة هي التّي تعطينا فكرة من نكون؟ ومن نحن؟ وكيف**

1ـــ هارلمبس وهولبورن، سوسيولوجيا الثّقافة والهويّة، مرجع سابق،ص 98.

2ـــ مصطفى بن تمسّك وآخرون، السّؤال عن الهويّة في التّأسيس والنّقد والمستقبل، دار الأمان، الرّباط، ط1، 2016م، ص 164.

3ـــ فتيحة كركوش، إشكاليّة بناء الهويّة النّفسيّة والاجتماعيّة، مجلّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، البليدة، الجزائر، العدد 16 سبتمبر2014م، ص 270.

4ـــ محمد عبد الرّؤوف عطيّة، التّعليم وأزمة الهويّة الثّقافيّة، مؤسّسة طيبة للطّباعة والنّشر، القاهرة، مصر، ط1، 2009م، ص 24.

5ـــ فوزيّة براهيمي، الشّخصيّة الرّوائيّة وهاجس (الوطن، الهويّة، الثّورة) في الرّواية الجزائريّة، الملتقى الوطني الأدب الجزائري في مواكبة قضايا الأمّة، 13ـــ14 ماي 2012م جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر، ص 235.

نتواصل مع الآخرين في العالم الذّي نعيش فيه، إن الهويّة قضيّة مركّبة تتداخل فيها عدّة عناصر»[1]

وبالتّالي فالهويّة هي التّي تجيب عمّا يدور في خاطرنا وتجيب عن ذواتنا وتساؤلاتنا وتعطينا كيفيّة التّواصل مع الآخرين.

2 – أسس ومقوّمات الهويّة

لكل مفهوم مرتكز يرتكز عليه والهويّة إحدى المواضيع التّي احتلت الرّيادة وجدلا واسعا في السّاحة النّقديّة والاصطلاحيّة ولها عدّة مرتكزات تقوم عليها:

أ ــ الدّين

خلق الله عز وجل الإنسان وصوّره في أحسن صورة وميّزه عن باقي المخلوقات بنعمة العقل الذّي يعد الأداة الأساسيّة التّي يفكر بها الإنسان، إذ يحدّد من خلاله هدفه وغايته في هذا الوجود وهي التّعمير في الأرض، ولذا فالله عز وجل لم يجعل الإنسان مخلوقا بدون أسس وضوابط فسنّ له الدّين الذّي ضمنه تحتوي عدّة العقائد والقيم، وعلى هذا الأساس اعتبر هو المحرّك الرّئيسي لتنظيم حياة الأفراد والمجتمعات، فهو المساهم في تنظيم سلوكيّاتهم وتصرّفاتهم إذ يبين للفرد كيفيّة التّعامل مع كل ما يدور من حوله، ويساعده على التّخلص من الوقوع في العديد من المشاكل والزّلات وإبعاده عن كل ضرر وأذى، فهو المرجع الذّي يرجع إليه الفرد لأجل معرفة خبايا الكون وحقائق الأمور ومعرفة حسنها من سيئها، هو غذاء للرّوح ونور للعقل، يضمن للإنسان الاستقرار والطّمأنينة باعتباره يقضي على كل الفوارق، هو غريزة إنسانيّة له أثر واضح في نفوس البشريّة هو الحالة النّفسيّة والوجدانيّة التّي يمتاز بها شخص معين، أو بتعبير آخر هو مجموعة من المبادئ والقيم التّي تعتقد بها أمّة أو جماعة معيّنة هو معادل ومرادف للهويّة على أساس أنّه الحالة النّفسيّة والوجدانيّة للشّعوب الذّين يشتركون في شعائر ومراسم دينيّة تجعلهم أكثر تمسّكا وتشدّدا لهذا اعتبر ظاهرة من الظّواهر المنتشرة في المجتمعات يكون له تأثير مباشر وهادف في تكوين وتشكيل هويّة الفرد والجماعة على هذا أساس اعتبر

1ــ عبد السّلام المسدي، الهويّة العربيّة والأمن اللّغوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، بيروت، ط1، 2014م، ص 246.

أكثر«**محركات الهويّة واستعمالاتها الوظيفيّة في التّاريخ الجدلي للبشريّة**»[1] له دور فعّال في حياة الشّعوب والأفراد، وتحديد أصالتهم ووحدتهم لأن «**إقامة الرّوابط الاجتماعيّة الحيّة كلّها عن طريق الدّين سواء كانت على نطاق الأسرة أو على مستوى الوطن أو على مستوى الأمم والدّول والشّعوب وخاصة الرّوابط المعنويّة كالتّراحم والتّكافل والمحبّة... وغير ذلك من المبادئ الأخلاقيّة... ويهدف الإسلام من ذلك إلى ربط الفرد والمجتمع وأن يغرس فيه الشّعور بالولاء والانتماء إليه**»[2] وهذا ما يقودنا بالضّرورة إلى مدى ارتباط المجتمع والشّعوب بالدّين والتّمسك بمبادئه وعقيدته والشّعور بالانتماء إليه، ومنه نلتمس مدى تأثيره على بناء وتكوين الهويّة وبالأخص هويّة الأفراد إذ أكبر ما يوحّد الهويّة نفسيا هو الدّين الرابط الرّوحي الوجداني، الذّي تنصهر فيه كل الفوارق فهو أهم العناصر المهمّة التّي ساهمت في تشكيل وبناء الشّخصيّة وبالخصوص من الجانب النّفسي لقدرته على مدى ربط المجتمعات ومسح كل الفوارق والخصوصيّات بينهم.

ب – التّاريخ

من الموارد الأساسيّة والثّمينة التّي تساهم في معرفة حياة الأفراد منذ القدم إذ هو عبارة عن سجل وملف كامل عن كل أحداث ووقائع الشعوب، فهو يصوّر لنا التّجارب وجميع الظّروف التّي مرّ بها الإنسان منذ القدم عبر مختلف الأزمنة، كما يساعد على تجنّب الوقوع في الهلاك والمصاعب، فهو زاد من الحكم والعبر والمواعظ ممّا يساعد الإنسان في وضع خطّة صحيحة للمستقبل، ويساعد التاريخ كذلك في ترسيخ الوحدة الوطنية لإثبات هوية الشعوب والمجتمعات؛ فهو يؤكد هويّة الأمّة ويحميها من الضّياع والتّشتت « **لقد كان بديهيا أن تكون الهويّة ترتكز على أركان تاريخيّة يتصدّرها الانتماء إلى أصول سلاليّة واحدة وهي تلك التّي تشمل خريطة الأجناس والأعراف**»[3]

ومنه فالحديث عن هويّة الأمم لا يمكن إلا بالعودة إلى تاريخها العريق، إذ أن التّاريخ المشترك يعمل على لم شمل الأمّة وتوطيد العلاقات وتوحيد الشّعوب في سرّائها وضرّائها.

1ــ مصطفى بن تمسّك وآخرون، السّؤال عن الهويّة في التّأسيس والنّقد والمستقبل، مرجع سابق، ص39.

2ــ محمّد الزّحيلي، وظيفة الدّين في الحياة وحاجة النّاس إليه، جمعيّة الدّعوة الإسلاميّة العالميّة، دمشق، د.ط، 1991م، ص 83.

3ــ عبد السّلام المسدي، الهويّة العربيّة والأمن اللّغوي، مرجع سابق، ص 278.

ج ــ اللّغة

لا تعدّ اللّغة وسيلة للتّواصل بين الشّعوب والمجتمعات فقط، بل هي أداة تعبّر عن الثّقافة والانتماء والهويّة حتى أنّها المكوّن الرّئيسي للهويّة، ولكل لغة خباياها التّي تميّزها عن غيرها من اللّغات الأخرى «**لأنّ اللّغة حاملة للهويّة والقيم والتّاريخ، إنّها تحقّق التّلاحم الاجتماعي وتدعم تنامي الإحساس بروح الانتماء إلى المجموعة**»[1]، تساعد اللّغة الإنسان في التّعبير عمّا يختلج نفسه من أفكار وآراء ووجهات نظر فهي «**أداة تعبير عن الإبداع الأدبي والفني والكشف عن المشاعر والأحاسيس**»[2]، لذلك تسعى الأمم إلى توحيد لغة شعوبها لجمع شملهم والحفاظ على التّواصل فيما بينهم.

اللّغة والهويّة وجهان لعملة واحدة، وهي النّاطق الرّسمي بلسان الهويّة، وبهذا تصبح اللّغة أحد أركان الهويّة ولا تستقيم أمور الأمم والشّعوب بدونها وتضيع وتصبح تحت ويلات الآخر وهيمنته.

1ــ رمزي منير بعلبكي وآخرون، اللّغة والهويّة في الوطن العربي إشكاليّة تاريخيّة وثقافيّة وسياسيّة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، بيروت، ط1، 2013، ص 12.

2ــ عباس الجراري، هوّيتنا والعولمة، النّادي الجراري، الرّباط، د.ط، 2002م، ص 12.

ثانيا – إشكاليّة الهويّة في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسيّة

عرف الأدب الفرنكفوني إشكاليّة كبيرة دارت حول نسبه وهوّيته، فهناك من اعتبر هذا الأدب إبداع جزائري، وهناك من ألصقه بالفرنسيّين، فوجب البحث عن جواب لهذا الغموض واللّبس الذّي اعترى الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسيّة.

1 – الأدب الفرنكفوني أدب فرنسي

نفى أصحاب هذا الرأي انتماء الأدب الفرنكفوني إلى الهويّة الجزائريّة، على أساس أن اللّغة المكتوب ليست لغة وطنيّة، وبذلك فهم لم يستغنوا عن العامل اللّغوي في تحديد انتماء هذا الأدب «**يرى أنه ليس ممكنا اعتبار رواياتهم (أي الكتابة) باللّغة الفرنسيّة جزء من التّراث الثّقافي العربي... ويستند أصحابه في ذلك إلى وجهة نظر لمدرسة الأدب المقارن التّي تتكلّم اللّغة التّي كتب بها ذلك الأدب، وتعدّه من أدبها القومي**»[1]

عند إمعان النّظر في هذا الأدب خاصّة تلك الرّوايات التّي نشرت قبل سنة 1950م، فجميع موضوعاتها كانت تدعم الأفكار الاستعماريّة وتنشرها داخل المجتمع الجزائري، ومن أمثلة هذه الرّوايات نجد أعمال الرّوائي "عبد القادر حاج حمو" و"**رابح زناتي**" و"**محمد ولد الشّيخ**" التّي تشيد بالاستعمار وتدعو إلى سياسة الإدماج، ولعلّ السّبب يكمن في أن هؤلاء الأدباء هم من خريجي المدرسة الفرنسيّة، ممّا لا يثير الاستغراب في كونهم يمجّدون الاستعمار، ويبدون إعجابهم بالثّقافة الفرنسيّة المضادّة للثّقافة العربيّة الإسلاميّة.

هذا الإبداع لم يصل إلى كافة فئات المجتمع لأن أغلب الجزائريّين في ذلك الوقت كانوا أميّين لا يعرفون القراءة والكتابة، فبذلك فهؤلاء الرّوائيون كانوا يكتبون لمخاطبة الفرنسيّين لا الجزائريّين، بحثا عن رضا وإعجاب الفرنسيّين لا المطالبة بحق الجزائريّين في الكرامة والحريّة، وما أكدّ هذا الرأي هو استمراريّة الكتابة باللّغة الفرنسيّة إلى يومنا الحالي بالرّغم من نيل الاستقلال.

2– الأدب الفرنكفوني أدب جزائري

اعتمد أصحاب هذا الرّأي على المواضيع التّي عالجتها هذه الرّواية لكونها عبّرت بكل مصداقيّة عن الواقع المعيشي للمجتمع الجزائري الذّي يعيش تحت وطأة الاستعمار، وبالتّالي فهذا الأدب

1ـــ أحمد منوّر، الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي نشأته وتطوّره وقضاياه، مرجع سابق، ص 139ـــ140.

أدب جزائري بإقصاء عامل اللّغة التي كتب بها، والأمثلة على هذا كثيرة حيث نجد ثلاثية "**محمد ديب**" التي عالج فيها جميع انشغالات الشّعب الجزائري، و"**مولود فرعون**" في رواية "**ابن الفقير**" و"**مولود معمري**" في "**الرّبوة المنسيّة**".

وعليه فقد ارتبط المضمون هنا ارتباطا وثيقا بتاريخ الجزائر وكفاح شعبها ضدّ الاستعمار الغشيم، إذا فهو حافظ على الهويّة من التّشتّت حيث دافعوا عن الثّوابت الوطنيّة والمقوّمات الشّخصيّة للأمّة الجزائريّة فليس من العدل أن يكون هذا الأدب فرنسيا لاستعمال الأدباء الجزائريّين لغة دخيلة كسلاح لمواجهة العدوّ الفرنسي، لأنه لا يفهم إلا لغته هذا من جهة، ومن جهة أخرى التّعريف بالقضيّة الجزائريّة في جميع أقطار العالم.

ومنه وجب النّظر إلى هذا الأدب على أساس « **الرّوح الجزائريّة التّي كتب بها**»[1] لا على أساس اللّغة، فليس للّغة أهمية مقارنة بمكونات النّص الرّوائي الأخرى (الزّمان، المكان، الشّخوص ...)، فمثلا استخدام "**مالك حداد**" في روايته "**رصيف الأزهار لا يجيب**" ليوم الثامن ماي 1945م يدل على بعد ثقافي جزائري خاص، وقد عبر "**مولود معمري**" حين قال «**يجب أن لا نبكي ونشعر بالضّياع لأنّنا نكتب باللّغة الفرنسيّة، فأنا شخصيا إذا كتبت باللّغة الفرنسيّة فإنّني لا أشعر بأيّة عقدة نقص، فالكاتب مهما كانت اللّغة التّي يكتب بها إنّما يقوم بعمليّة ترجمة لعواطفه هو**»[2]

ومنه فما اللّغة إلا أداة للتّعبير كما رآها "**كاتب ياسين**" الذّي يعتبر «**الثّقافة الفرنسيّة لا يمكن لها إلاّ أن تؤجّج فينا الظمأ إلى الحريّة والأصالة**»[3]، وبهذا فهو يعتبر اللّغة وسيلة للتحرّر والتّملّص من قبضة الآخر لا تنقص من قيمة هذا الأدب فهو يبقى جزائريا ما دام روحه عربيّة وهمّه جزائريا.

3ــ الأدب الفرنكفوني أدب بلا هويّة:

وقف أصحاب هذا الرّأي بين الرأيين السّابقين فرءوا أن هذا الأدب بلا منازع أدب بلا هويّة إذ أنّه لم يملك من الفرنسيّة سوى اللّغة التّي كتب بها، ممّا يستحيل على الأديب هنا أن

1ــ أحمد منوّر، الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي نشأته وتطوّره وقضاياه، مرجع سابق، ص 129.

2ــ المرجع نفسه، ص130.

3ــ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يترجم آراءه وأفكاره للفرد الفرنسي إذ أن ثقافتهم مخالفة لثقافة الكاتب الجزائري، إضافة إلى أنّ الأديب لا يمكن له إيصال الأفكار الّتي يريد التّعبير عنها بلغة الغير إلى أهل وطنه الذّين لا يتقنون هذه اللّغة نظرا للأميّة والجهل الذّي كانوا يعانون منه آنذاك، ومنه فالرّواية الفرنكفونيّة في المغرب العربي «**لا تمثل التّصورات الفرنسيّة أو المفاهيم الجزائريّة فهي أشبه بكائن مميّز يجمع بين الشّكل الفرنسي والمضمون الجزائري، كما أشار إلى ذلك النّاقد عبد المجيد حنّون الذّي يشبّه هذا الكائن بالمولود الاستثنائي، يولد ويكبر ويساهم في الحياة لكنه لا يمتلك شبيها ولا يمكن التّخلي عنه.**» [1]

ثالثا: الثّورة والهويّة الجزائريّة في الرّواية الفرنكفونيّة

شكّلت الثّورة على مدى بعيد منهل للكتابة السّرديّة، فغالبا ما يصادفنا موضوع الثّورة في الكتابات الرّوائيّة فقد كانت هذه الأخيرة منعرج حاسم في مسيرة التّجربة الرّوائيّة الجزائريّة، وذلك إمّا بسرد بطولاتها أو انتقاد بعض المواقف فهذه المؤلّفات قدّمت تصوّرا للبطل النّموذجي وصنعت الوعي رغم أنّ التّعامل مع الثّورة «**وصف بالسّطحية أحيانا وبالمثاليّة والاحتفاليّة التّي لم تتجاوز حدود الانعكاس**»[2]، أي أن «**لم يكن تعاملا تاريخيا كما لم يكن هناك استثمار إبداعي للثّورة وبإعادة إنتاج أحداث ومواقف وبطولات تستمد مرجعيّتها من التّاريخ الثّوري باعتبار أن الرّواية عمل تخييلي يوهم بالواقع**»[3]، وبالتّالي فإن الروائيّون الجزائريّون وقفوا في صراع مع لغة العدو فكانت وسيلتهم الوحيدة للتّواصل مع الطّرف الآخر بسبب الظّروف المفروضة على اللّغة العربيّة من طرف المحتل وبما أن اللّغة جزء لا يتجزأ من مقوّمات الأمم فقد سعت فرنسا جاهدة إلى استخدام كافة إمكانياتها لطمس معالم اللّغة العربيّة وجميع

1ــ أم الخير جبّور، الرّواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة دراسة سوسيونقديّة، دار ميم، الجزائر، ط1، 2013، ص46.

2ــ آمنة بلعلي، المتخيّل في الرّواية الجزائريّة من المتماثل إلى المختلف، الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تيزي وزو، الجزائر، ط2، 2011، ص 52.

3ــ نوال بن صالح، الرّواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة وثورة التّحرير، صراع اللّغة والهويّة، مجلّة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السّابع، 2011م، ص 222.

المقوّمات الجزائريّة والنّيل من «**الأسس المعنويّة والمميّزات الحضاريّة للشّعب الجزائري والطّعن في عقيدته وتشويه قيم تراثه وطمس معالم شخصيّته**»[1]

فوجد الرّوائيون أنفسهم مجبورين على الغوص في غمار التّاريخ وانتقاد الذّات والآخر من خلال الإعلان «**عن نص روائي جديد يبشّر بإنسان جديد وبعقل جديد قلب موازين البطولة الروائيّة**»[2]، ومنه فإنّنا نجد العديد من الرّوائيّون الجزائريّون ممّن جعلوا الثّورة موضوعا لكتاباتهم، وصنّفت هذه «**الرّوايات ضمن أدب المقاومة أو أدب الثّورة الجزائريّة، ولعلّ أبرز هؤلاء الرّوائي الجزائري مولود فرعون الذّي كتب "ابن الفقير" الصّادرة سنة 1953م**»[3] التّي صوّر فيها المأساة التّي عاصرها المعدومين في الجزائر، ثم وصف لنا كيف يكون الطّبع وطبيعة الرّجل القبائلي الحقيقي، لأن الطّفل الرّضيع تبدأ معركته الأولى في الحياة منذ ولادته، إمّا أن يقاوم الحياة القاسيّة والعبوديّة حتى يعيش بكرامة، أو يستسلم إلى مرارة الفقر والذلّ ومهانة الحياة طوال حياته.

أما روايته "**الأرض والدم**" التّي تدور وقائعها حول الفترة بين الحربين العالميّتين، فقد صوّر فيها المعاناة الشّديدة التّي يعانيها الشّعب الجزائري في التأقلم مع الوضع الجديد، وبهذا يعتبر "**مولود فرعون**" نموذجا لجيله حيث جمع بين ثقافتين وأحسن تصوير التّناقضات التّي ميّزت فترة يقظة الوعي الوطني الجزائري.

إضافة إلى "**مولود فرعون**" يصادفنا أديب آخر هو "**محمد ديب**" صاحب الثّلاثية الشّهيرة، "**الدّار الكبيرة** la grande maison " سنة 1952م، "**الحريق l'incendie**" سنة 1954م، "**النول la métier tisser**"سنة1957 م، وقد ذاع صيت هذه الثّلاثية بسبب الاحتفاء السّياسي الذّي كان يقابلها «**هذا الأدب من قبل الأوساط الثّورية والدّيمقراطيّة والثّورة واليساريّة في أوروبا، وكذا الالتزام السّياسي فارتبط محمد ديب بالثّورة الجزائريّة من خلال الممارسة السّياسيّة**»[4]، ليس هذا فقط بل أن الثّلاثيّة

1ـــ نوال بن صالح، الرّواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة وثورة التّحرير، صراع اللّغة والهويّة، مرجع سابق، ص 223.

2ـــ المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

3ـــ المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

4ـــ أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرّائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007م، ص 98.

قد حملت في طيّاتها بعد وطني اجتماعي، إذ أزالت القناع عن جملة من العوامل السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة داخل المستعمرة.

وممّن كتبوا أيضا عن الثّورة باللّسان الفرنسي غداة الاستعمار **"مولود معمري"** صاحب رواية **"الرّبوة المنسيّة la colline oubliée"** سنة 1952م، هذه الرّواية التّي دارت أحداثها في فترة ما قبل الحرب العالميّة الثّانية لتنقل واقع الشّعب الجزائري الذّي يعاني من ويلات الاستعمار، كما حملت أيضا بصيص أمل نتيجة ما شهدته الأوضاع السّياسية الجزائريّة من تحوّلات وتغيّرات.

وكذلك الشّأن نفسه بالنّسبة لـــ **"مالك حداد"** في رواياته **"رصيف الأزهار لايجيب"**، **"الشّقاء في خطر"**، **"سأهبك غزالة"**، فرغم مأساة اللّغة والمستعر التّي يعاني منها إلا أنها لم تقف في وجهه لنقل معاناة قومه وهمومه، فجاءت أعماله محمّلة بالعواطف والأحاسيس تنم عن حب الوطن الذّي يربط جميع الأحداث ببعضها.

أديب آخر كانت له بصمته إنه **"كاتب ياسين"** في روايته **"نجمةNedjma"** سنة 1956م، التّي صوّر فيها جميع المراحل التّي مرّ بها وطنه الجزائر، فقد تعلّق دائما بالوطن الأم فجسّده في امرأة اسمها **"نجمة"** فقال معبّرا عن ذلك «**إنّ نجمة هي روح الجزائر الممزّقة من البداية والمهدورة بشتى التّوترات الدّاخليّة فنجمة الغائبة الحاضرة دائما يلاحقها أربعة أبطال (رشيد ــ لخضر ــ مراد ــ مصطفى) ومغامرات هؤلاء في البحث عنها تشكّل إطار الرّواية غير أنّ هذه الرّواية تعرض أيضا المظالم السّياسيّة والاقتصاديّة في الجزائر**»[1]، فنجمة رمز الجزائر إنّها الأم والوطن في آن واحد.

صوّر الرّوائيون الواقع الجزائري بمصداقيّة في فترة الثّورة، رغم أنّ الكتابة كانت تشكل خطرا ،كما عبّر عن ذلك **"مولود معمري"** الذّي يجعلها «**بمنزلة المقامرة، وأن عدد من يرتكب مثل هذه الحماقة في الجزائر يعدّ على الأصابع**»[2]، فالكاتب الجزائري أثبت بجدارة واستحقاق مدى إتقانه للغة العدو حيث فضحه بها في رحلة بحثه عن الهويّة الجزائريّة.

1ــ أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 102ــ 103.

2ــ عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925ــ 1967)، مرجع سابق،ص 59.

إذا فالرّواية الجزائريّة المكتوبة باللّغة الفرنسيّة المكتوبة في فترة الحربين العالميّتين، كانت عبارة عن وسيلة لنشر الوعي السّياسي، لتصبح بعد ذلك وجها للمقاومة الوطنيّة ضدّ المستعمر خاصّة بعد الثّورة التّحريريّة.

رابعا: إشكاليّة اللّغة في الرّواية الفركفونيّة

استطاع الرّوائي الجزائري الذّي يكتب بالفرنسيّة أن يجعل منها وسيلة للإبداع، فحقّق بذلك تجربة روائيّة فريدة مخالفة للتّجربة الفرنسيّة. وقد أكّد على هذه التّجربة الكثير من «**النّقاد الغربيّين، وبصفة خاصة الرّوس كما هو الشّأن عند "إيرينا نيكيفوروفا" و"سفيطلانا بواجوغينا" و"غالينا جوغاشفيكي" وهم ممّن اشتهروا في مجال التّأسيس للدّراسة الشّاملة للأدب الجزائري.**» [1]

وبهذا تفرّدت التّجربة الرّوائية عن الأدب الفرنسي رغم اشتراكهما في اللغة لأنها ارتبطت بالوطن الأم حسب النّاقدة إيرينا: «**لأن كتاباتهم كانت تنوء بالهموم الوطنيّة**» [2]، وتعبّر عن معاناة الجزائر المستعمرة وهمومها فهناك «**فرقا ملحوظا بين الأدب الذّي كتبه الجزائريّون وبين ما كتبه الفرنسيّون وإن كان بلغة واحدة في بيئة واحدة**»[3].

وقد صرّح آخرون بأن الفارق موضّح في الرّوح التّي تتغلغل في قلب النّصوص الجزائريّة، فهو أدب ينبض بالانتماء الجزائري.

وعند تأملنا في هذه الآراء نجد أنّها ترجع إلى طبيعة علاقة الكتّاب الجزائريّين بالكتّاب الفرنسيّين، فهي التّي أحدثت الفارق «**بين نبرتي الأدبين الجزائري والفرنسي ولغتيهما وانسيابهما الإبداعي، فهذه الآراء تبني فكرتها على فكرة تناسبيّة ترى أن كل نتاج أدبي مقترن بسياق ثقافي، إذ لا وجود لأدبيّة معياريّة تتعالى عن الشّروط المكانيّة والزّمانيّة**»[4]،

1ــ لعموري الزّاوي، ازدواجيّة اللّغة في أدب رشيد بوجدرة، وقائع الملتقى الدّولي رشيد بوجدرة وإنتاجيّة النّص، دار الكتاب العربي، الجزائر، وهران، د.ط، ص 28.

2ــ المرجع نفسه، ص 30.

3ــ عبد الله الركيبي، القصّة القصيرة الجزائريّة، دار الكتاب العربي، الجزائر، د.ط، ص 243.

4ــ أحمد فرشوخ، الرّد بالكتابة، قراءة في رواية الرّماد الذّي غسل الماء، لغز الدّين جلاوجي، نقلا عن مجموعة من المؤلفين، الهويّة والتّخييل في الرّواية الجزائريّة قراءات مغربيّة، دار أهل القلم، سطيف، ط.1، 2008، ص 77.

وعليه فإنّ الفارق ثقافي مرتبط بلحظة تاريخيّة تعدّ ذات أهميّة كبيرة بالنّسبة للطّرفين والبيئتين، وقد نبّه **"فرانز فانون"** إلى هذا ورأى أنّ « **المنطقة التّي يسكنها المستعمرون لا تكمّل المنطقة التّي يسكنها المستعمرون، إنّ هتين المنطقتين تتعارضان ولكن لا في سبيل وحدة أعلى، إنّهما يخضعان لمبدأ التّنافي المتبادل فلا سبيل إلى المصالحة إن أحد الطّرفين زائد يجب أن يزول.**»[1]

الرّوائي الجزائري لم يتقبّل فكرة الانفصال والتجرّد من أصوله، بل استطاع التّعبير عن مواقفه وقضاياه الوطنيّة إضافة إلى الكفاح لنيل استقلال الجزائر حيث فجّر قريحته الأدبيّة من خلال كتاباته التّي أضفى عليها روح الثّورة والحماسة وبرهن بها أنّها «**الثّمرة المباشرة لأرضهم وللطّبيعة والبيئة العربيّة التّي تسيطر في أعماقهم**»[2]، إذ أنّه سخّر قلمه لمعالجة الوضع المأساوي، والضّياع الثّقافي الذّي سبّبه المستعمر للجزائر مستخدما أساليب أكثر ملائمة للواقع الجزائري ومميّزاته الثّقافيّة، فنتج بذلك أدبا مزدوجا يمزج بين ثقافتين، الثّقافة العربيّة الجزائريّة والثّقافة الفرنسيّة الغربيّة فيقول أحد النّقاد «**يلاحظ كل من قرأ للكتّاب الجزائريّين ذوي التّعبير الفرنسي أن هناك غرابة وسوء جوار بين الأسلوب وبين حوادث القصّة أو عاطفة القصيدة لأنّ هذه الأخيلة خلقت لكي يعبّر عنها باللّغة العربيّة، وإبرازها بمنطق فرنسي يجعل اللّفظ متضاربا مع صميم القصّة خاصة إذا كانت مرتبطة بالمجتمع العربي الجزائري**»[3]

وقد لاحظت النّاقدة **"عايدة أديب بامية"** أن تكوين الكتّاب الجزائريّين ناتج عن تناقضات التّنشئة الاجتماعيّة الجزائريّة إذ تقول في هذا السّياق «**يمتلك بطبيعته الرّوح الشّاعريّة والمتديّنة والقدريّة، وقد تحصّل من ثقافة المستعمر عبر المنطق والعقلانية، وقد أدّى المزيج ... إلى تمزق في الفكر الجزائري إذ تشدّه عقلانيّة ديكارتية ... ومنطق مبهم رجعي وشاعريّة رائعة وأنيقة**»[4]

1ــ فرانز فانون، معذّبو الأرض، تر: د.سامي الدّروبي، جمال أناسي، ص 21.

2ــ عايدة أديب بامية، تطوّر الأدب القصصي (1925ــ 1967)، مرجع سابق، ص 256.

3ــ محمّد طمّار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، د.ط، 2006م، ص 496.

4ــ عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925ــ 1967م)، مرجع سابق، ص 55.

فجاءت بذلك جل إبداعات الكتّاب الجزائريّين الذّين أتقنوا الكتابة باللّغة الفرنسية همزة وصل بين لغتين وثقافتين، لا تحتوي إحداهما الأخرى، ولعلّ هذا هو سبب تميّزها وجعلها تمثل توجّها أدبيا روائيا مستقلا بذاته.

ونخلص في نهاية هذا الفصل إلى أنّ قضيّة الأدب المكتوب باللّغة الفرنسيّة خرجت إلى السّاحة الأدبيّة بقوة فأحدثت «**معركة أدبيّة اهتمت بها المجلاّت والرّاديو الجزائري والنّدوات واللّقاءات**»[1]، لمناقشة مستقبل هذه الثّقافة وحاضرها وماضيها من قبل الجهات المعنيّة مثل تلك التّي «**نشرتها المجاهد اليوميّة 1963م وشارك فيها كل من: "معمري"، "آسيا جبار"، "بوربون"، "ساحلي"، "بوديا" وأدارها "محمّد الصّديق بن يحي" ودارت حول التّعريب واللّغة الفرنسيّة واللّغة العربيّة ومستقبل الأدب الجزائري**»[2]، لكن السّؤال الذّي يبقى مطروحا هو حول نسبة هذا الأدب، أهو أدب جزائري؟ أم أدب فرنسي؟

1ــ محمّد طمّار، تاريخ الأدب الجزائري، مرجع سابق، ص 423.

2ــ عبد الله الرّكيبي، الفرنكفونيّة مشرقا ومغربا، شركة دار الأمّة للطّباعة والتّرجمة والنّشر، برج الكيفان، الجزائر، د.ط، 1993، ص 294.

الفصل الثّاني

تجلّي ملامح الهويّة في رواية "فضل اللّيل على النّهار"

لياسمينة خضرا

أوّلا = الأديب والرّواية

ثانيا = ملامح الهويّة في الرّواية

الفصل الثّاني

تجلّي ملامح الهويّة في رواية
" فضل اللّيل على النّهار" لـــــــــــــــ ياسمينة خضرا

أولا: الأديب والرّواية

1 – نبذة عن حياة ياسمينة خضرا

"ياسمينة خضرا" هو الاسم المستعار للكاتب الجزائري" محمّد مولسهول". ولد بتاريخ 10 يناير ـــ كانون الأوّل1955 بالقنادسة في ولاية بشّار الجزائريّة.كان والده ضابطا في جيش التّحرير الوطني أثناء الحرب ضد المستعمر الفرنسي، ثم في صفوف الجيش الوطني الشّعبي بعد استقلال الجزائر ووالدته بدويّة، وفي عمر التّاسعة التحق بمدرسة أشبال الثّورة بتلمسان بالغرب الجزائري، هي مدرسة تتكفّل بها وزارة التّربية والحياة فهي شبه عسكريّة، تخرّج منها متحصّلا على الباكالوريا سنة1974 ليلتحق بالأكاديميّة العسكريّة لمختلف الأسلحة التّي تخرّج منها برتبة ملازم عام1976، ثم التحق بالقوّات المحمولة جوا.

خلال فترة عمله في الجيش قام بإصدار روايات موقعة باسمه الحقيقي، عام2000 وبعد 36 عاما من الخدمة قرّر اعتزال الحياة العسكريّة، والتّفرّغ للكتابة، واستقر لاحقا مع أسرته في فرنسا[1]. وللكاتب العديد من الأعمال نذكر منها:

1. –أميـــن في سنة:1984.
2. –حـــوريّة في سنة:1984.
3. –بنت الجسر في سنة:1985.
4. –القاهرة–خليّة الموت سنة 1986.
5. –من النّاحية الأخرى للمدينة في سنة:1988.

1ـــ نقلا عن الموقع الرّسمي للكاتب: https://ar.wikipedia.org/wiki

6. -le privilège du phénix.1989:
7. -الجنون بالمبضع في سنة:1990.
8. -معرض الأوباش في سنة:1993.
9. -morituri.1997:.
10. -الرّبيع الوهم في سنة :1998.
11. -ابيض مزدوج في سنة:1998.
12. -les agneaux du seigneur.1998:
13. -بماذا تحلم الذّئاب في سنة 1999.
14. -الكـــاتـــب في سنة:2001.
15. -دجـــّـــال الكلمات في سنة:2002.
16. -سنونو كابـــــل في سنة:2002.
17. -cousine k.2003,
18. -قسمة الميّت في سنة:2004.
19. -زهرة البليدة في سنة:2005.
20. -صفّارات إنذار بغداد ترجمت "أرواح الجحيم"2006.
21. -في سنة ce que le jour doit à la nuit.2008 -فضل اللّيل على النّهار.
22. -آلهة الشدائد في سنة: 2010.

2 – رواية "فضل اللّيل على النّهار"

رواية "فضل اللّيل على النّهار" هي رواية باللّغة الفرنسيّة، للكاتب الجزائري "ياسمينة خضرا"، هي رواية التّناقضات بين الحرب والحلم. جاءت في كسوة وحلّة ضمن ثنايا سلسلة" موازييك"، التّي احتضنتها "دار سيديا" لنشر الرّوايات، صدرت سنة2008.

حاول فيها "ياسمينة خضرا" تتبّع أهم التّحولات السّياسيّة والاجتماعيّة التّي ميّزت الجزائر خلال الفترة الممتدة من بداية الثلاثينيّات إلى بداية السّتينات من القرن الماضي.

3 ــ ملخص الرواية

كان "يونس" يعيش مع والديه وأخته الصّغيرة في البادية، حيث أن أباه قد زرع قطعة من الأرض واهتم بها وكان يحرسها ليلا ونهارا إلاّ أنّها في يوم من الأيّام وقبيل الحصاد شبّت نار في أرضهم المزروعة وأحرقت غلّة جيّدة فاقت توقّعاتهم، فهذا العمل كان مدبّرا بلا شك، فاضطرّوا للهجرة إلى مدينة وهران بعد أن وجدوا أنفسهم مفلسين. فعندما وصلوا إلى وهران عرض عليهم عم "يونس" يد المساعدة لكن والده رفض فسكنوا في مكان بوهران اسمه "جنان جاتو" كان هذا المكان بائسا حزينا وكان أبوه يشتغل لسدّ جوع ابنه وابنته وزوجته فطلب منه أخاه أن يعطيه "يونس" لكي يربّيه ويدرّسه لكي يكون له مستقبلا زاهرا فرفض أن يعطيه إياه.

أصبح "يونس" يصطاد العصافير هو وصديقه "الهواري" ويبيعونها وكان كلّما أعطى لأبيه المال يغضب منه ولا يأخذه منه فيقوم "يونس" بإرجاعه لصديقه.

جمع والد "يونس" بعض المال ليقوم بإنشاء مشروع مع صديقه وكان موعد لقائهما يوم الخميس حيث كان يوما حزينا وممطرا، فعندما ذهب للقاء صديقه أخذ معه "يونس" فسرقت منه أمواله من طرف "ألمورو" وكأنّه كان في انتظاره.

في يوم من الأيام كان "ألمورو" يصرخ في حيّهم فخرج له والد "يونس" بخنجره فقتله ورجع إلى البيت وفي الغد أخذ "يونس" إلى عمّه الصّيدلاني وزوجته الفرنسيّة لكي يربّيه ويدرّسه، وعندما أخذه عمّه إلى البيت فرحت به زوجة عمّه كثيرا، وقد كان منزلهم واسع وله الكثير من الغرف والنّوافذ، وغرفته كانت أكبر من غرفتهم في "جنان جاتو" التّي كانوا يعيشون فيها هو وأبوه وأمه وأخته الصّغيرة وأصبح اسمه "جوناس". اشترى له عمّه ملابس وأحذية جديدة وسجّله في المدرسة وأصبح يدرس وتعرف على فتاة اسمها "لوسات" فأصبحت صديقته وكانت تسكن بجانب عمه .

في إحدى الأيام ذهب "يونس" و"لوسات" إلى الخياط ومرّوا على الحانة فرأى "يونس" أباه وكان في حالة مزرية، فانزعج الوالد من الحالة التّي رآه عليها ابنه فذهب ومنذ ذلك اليوم لم يجدوه.

كان "ماحي" عم "يونس" أحد أعضاء حركة الاندماج وفي أحد الأيّام أعتقل لأسبوع وذلك راجعا ربما لآرائه السّياسيّة، وقد أسيئت معاملته أثناء الحبس، وعندما عاد إلى منزله أصبح

شخصا آخر، كان مضطربا وتغيّرت رؤيته لعلاقة الجزائريّين بفرنسا، فسيّرت "جرمان" أعمال زوجها وأصرّ "ماحي" على الانتقال إلى "ريو صلادو"، فاشتروا بيتا هناك وأصبحت لديهم صيدليّة تديرها "جرمان"، وكانت كل أسبوع تأتيها بنت مريضة تعطيها حقنة وبذلك أصبحت "إميلي" صديقة "يونس" لكنّها سرعان ما اختفت، كما تعرّف على "إيزابيل" فأصبحت صديقته وعندما عرفت بأن اسمه "يونس" وليس "جوناس" أنهت علاقتهما ذلك أنّها فرنسيّة وهو عربي.

وفي "ريو صلادو" تبدأ قصة صداقة بينه وبين شبان فرنسيّين حيث أصبحوا يلازمونه في كل أوقاته، وفي ذات يوم رافق "جوناس" رفاقه إلى مكان اسمه ماخور أي أنه مكان عامر بالعاهرات وفي ذلك المكان التقى بجارته "حدّة" التّي تعمل هناك فاستغرب من هذا الأمر وبعد إنهاء سهرتهم ذهب إلى "جنان جاتو" فوجده ملتهبا لا يوجد فيه أحد فسأل أحدهم: ما الذّي جرى؟. فقال: بأن أحد الرّجال جاء إلى "باتول" ففعل مافعل، فتساءل "جوناس" أين ذهبت أمّه وأخته فلم يجدهما، فرجع إلى "ريو صلادو" وذهب مع رفاقه إلى الشّاطئ فالتقى "جوناس" بامرأة تكبره سنا ولكنها كانت رشيقة كالفراشة تسمى السّيدة " كازيناف" فأغرم بها، وذهب إلى منزلها فقبّلها ولكنه بعد أيام رجع لها كأنه لم يكن شيئا بينهما.

ساءت حال عمّه وأصبح يحاكي نفسه داخل غرفته كأن شخصا يتكلّم معه، كان يقول: «أنا لم أفعل شيئا وأنا لم أخن بلدي» وعندما دخل "جوناس" و"جرمان" إلى الغرفة لم يجدا شيئا هناك، وعندما نظر "جوناس" من النّافذة وجد صديقه "جلّول" فقال له" «أنا محتاج قليل من المال»، فأعطاه المال وقال: "جلول" «بأنه سيرجع المال»، ذهب "جوناس" مع "جلول" إلى حيّه فكان حيا يائسا حزينا فيه رائحة كريهة حتى كاد يغمى عليه، هرب "جوناس" من ذلك المكان فقال له صديقه: «لا تنسى بأنك عربي وأصلك عربي.»

نال "فابريس" صديق "جوناس" جائزة أحسن شاعر، كما أنّ أصدقاء "جوناس" قالوا له بأنه يحب " إيزابيل" حبا أعمى فنفى هذا الخبر وأخبرهم بأنه لا يحبها وأن إيزابيل أصبحت لها علاقة مع صديقه "جان كريستوف".

أصبح لـــ "آندري" ـــــ صديق "جوناس"ـــــ حانة مثل الحانات الأمريكيّة، منظّمة ومزيّنة بالمصابيح والألواح وفي يوم الافتتاح جاء لها جميع النّاس الذّين لديهم قيمة وشأن، عندما قدمت

إليهم فرقة أمريكيّة تسمى بالجاز لم يعجبهم ذلك، لكنهم أعجبوا بالفرقة المحليّة، وأصبحوا يرقصون، أخذ "جوناس" وأصدقاءه في الرّقص و"فابريس" أعجبته بنت كانت آية في الجمال فتقدّم لها لكي ترقص معه لكنّها رفضت وجلست طوال السّهرة لوحدها.

انفصل "جان كريستوف" عن "إيزابيل"، حلّ فصل الرّبيع، تغيّرت "ريو صلادو" وأصبح جوّها رائعا ومشمسا، جاء الصّيف وأصبح لـــ "فابريس" صديقة اسمها "إيميلي" ابنة "كازيناف" فالتقى "جوناس" وأصدقائه بـــ "فابريس" و"إيميلي" وصديقاتها في الشّاطئ فأصبحا ينظران إلى بعضهما فأعجبته، فقد كانت عيناها سوداوان وكانت جميلة.

أصبحت "إيميلي" تزور "جوناس" في الصيدليّة وكان يتهرب، وفي أحد الأيام جاءت عنده "كازيناف" وأخبرته بأن يبتعد عن ابنتها "إيميلي" فأخبرها بأنه ليس على علاقة بها فقالت له: بأن "إيميلي" صغيرة وبمجرد أن تضحك لها تقع في حبك، عدني وأقسم لي بأنه لن يكون شيئا بينكما، فوعدها وأقسم لها على ذلك .

في إحدى الأيام كان "جوناس" وأصدقاؤه مدعوّين إلى حفلة وكان "فابريس" و"إيميلي" مدعوّان أيضا فعندما تقابلا أصبحا ينظران إلى بعضهما ولكنّه تذكّر كلام أمّها فتحجّج بأن "جرمان" تناديه وتخبره بأن عمّه مريض فذهب إلى المنزل.

انفصل "فابريس" عن "إيميلي" فأصبحت حبيبة "جان كريستوف" وذهبت إلى صيدليّة "جوناس" وأخبرته بأنها تحبّه منذ ذلك اليوم الذّي كانت تأتي فيه إلى "جرمان" لكي تعالجها وسألته إذا ما يتذكّر تلك الوردة التّي وضعتها في كتاب الجغرافيا، فتذكّر "جوناس" كل شيء لكنّه لم يجيبها بأيّ كلمة وأخبرها بأنّ "جان كريستوف" يحبّها وسيتزوّجها، سمع "جان كريستوف" حديثهما فغضب منهما ورحل، بحث عنه "جوناس" كثيرا لكنّه لم يجده.

ذهب جميع أصدقاء "جوناس" وبقي وحده؛ "فابريس" تزوّج وأنجب ابنا، و"جان كريستوف" ذهب و لم يرجع، و"سيمون" كان قد شارك "كازيناف" أم "إيميلي" في تجارة.

بعد مرور أيّام رجع "سيمون" ومعه سيّارة ضخمة وقال لـــ "جوناس": بأنه سيتزوّج "إيميلي" وهو الذّي كان يقول عنها عاهرة فتفاجئ "جوناس".

توجّهت "إيميلي "إلى صيدليّة "جوناس" وأخبرته بأنها مازالت تحبّه وأنها تريد الزّواج منه لكنّه سكت ولم يخبرها شيئا فطلبت منه أن يجيبها بنعم أو لا وألا يتركها هكذا فواصل "جوناس" سكوته فأخبرته بأنّها لن تسامحه ولن تغفر له.

تزوّجت "إيميلي" بـــ"سيمون" وحضر "جوناس" حفل زواجهما لكنه لم يعد يطيق العيش في "ريو صلادو" بعد هذا الزواج.

في إحدى الأيام قتل خادم في حانة "آندري" واتّهموا "جلّول" بأنه هو من قتله فدخل السّجن، أرسل أهل "جلّول" "جوناس" إلى أب "آندري" كي يقنعه بترك سراحه وأنّه بريء لكنه رفض فحكم عليه بالإعدام.

ذهب "جوناس" مع عمه و"جرمان" إلى أرض أجداده فرأى قبر أجداده وأراضيهم المحتلّة، فقد كان الاستعمار سائدا.

رجع "جان كريستوف" إلى "ريو صلادو" ورفض رؤية "جوناس" وتزوّج "إيزابيل" وسافر إلى مكان آخر.

تذكّر "جوناس" حدّة وذهب إلى "جنان جاتو" وفجأة ثارت الحرب وقتل فيها خمسة أشخاص فانصدم "جوناس" وأصبح في حالة نفسيّة مزرية.

رجع إلى "ريو صلادو" وهو واقف على النافذة رأى نارا تثور في منزل "كازيناف"، قتل "سيمون" في هذا الحريق وأصبحت "إيميلي" أرملة حزينة، أراد "جوناس" التّحدث معها لكنّه لم يستطع، وفي يوم من الأيام دخل عليها في المكتبة التّي تعمل بها فقال لها: أنا أحبك وأنا آسف على ما فعلته معك سابقا ولكنّها لم تسامحه .

في يوم من الأيّام وبينما يجلس "جوناس" في صيدليّته فجأة دخل عليه مجموعة من الأشخاص المسلّحين فهدّدوه وصعدوا إلى الطّابق العلوي وبعد دقائق جاء "جلول" وأصدقاءه حاملين شخص مريض أجبرت "جرمان" على فحصه وكان "جلول" ينظر إلى "جوناس" نظرة كأنه خائن وقال له: لماذا لا تخدم بلدك وتتعامل معنا لكي نحارب العدو فكان "جوناس" يتهرّب من الإجابة.

سافر "جوناس" إلى مرسيليا التّي كانت جميلة جدا ببيوتها وفنادقها وطرقها فوجد "إيميلي" وتحدّث معها فقالت له: أنا سامحتك لكن لن يحدث بيننا شيئا، فرجع "جوناس" إلى "ريو

صلادو" خائبا، وبعد أيام سافر مرة أخرى لكن هذه المرة أرشده "ميشال" على قبر "إميلي" فكاد قلب "جوناس" أن يتوقّف وتذكّر جميع الأحداث والأحاديث التّي دارت بينهما فحبهما كان مستحيل أن يتحقّق، وفي إحدى الأيام في مرسيليا ذهب "جوناس" عند "ميشال" للعشاء هناك حيث التقى هناك "بغوستاف" و"آندري" و"كريمو" وبدؤوا بالتّحدّث عن الماضي وعن الجزائر وتحدّثوا عمّا جرى لهم من قبل، وعن وفاة "جلول" الذّي قتل من طرف حفيده، وعندما أكملوا عشاءهم أوصل "ميشال" "جوناس" إلى الفندق وعندما ذهب إلى الغرفة تذكّر كل شيء؛ الأرض التّي احترقت، "جنان جاتو"، أمّه وأبوه ،"ريو صلادو"، ووفاة "سيمون" و"إميلي" ،"إيزابيل"، "جان كريستوف"، تذكّر كل شيء ثم رجع فلم يستطع النّوم في تلك اللّيلة.

ذهب "جوناس" إلى المطار وعندما كانت الطّائرة ستقلع جاء له حدس بأن لا يقف من مكانه وموظّفة الطّيران تناديه لكنه لم يذهب حتى جاء "جان كريستوف" فتعانقا وطلبا السّماح من بعضهما، عندها ذهب "جوناس" في طائرته ووعده "جان كريستوف" أن يلحق به. [1]

ثانيا: ملامح الهويّة في رواية فضل اللّيل على النّهار

إن الهويّة هي لفظ له دلالات عدّة، كما له ملامح متعدّدة، من بيئيّة وثقافيّة إنسانيّة وتاريخيّة، وقد حاول "ياسمينة خضرا" من خلال روايته هذه أن يحصر لنا ملامح الهويّة العربيّة الجزائريّة، ويبيّن لنا أنّ الحفاظ على الهويّة العربيّة وتثبيتها ومحاولة محوها هو محو للهويّة وكيانها. وهذا ما أدى إلى حرص الشّعوب على المحافظة على تميّزها في مختلف المجالات، فالهويّة جزء من نشأة الأفراد من يوم ولادتهم إلى وفاتهم.

ساهم وجود فكرة الهويّة في التّعبير عن مجموعة من السّمات الخاصة بشخصيات الأفراد، لأنّ الهويّة تضيف للفرد صفة الخصوصيّة والذّاتيّة، كما إنّها تعتبر المرآة العاكسة للثّقافة ولغة وعقيدة الأفراد، كما ساهمت بشكل فاعل في تشيّيد جسور من التّواصل بين كافة الأفراد سواء داخل

1ـ ياسمينة خضرا، رواية فضل اللّيل على النّهار، تر: محمّد ساري، دار سيديا في المغرب العربي، 2013.

أوساط مجتمعاتهم أو مع المجتمعات المختلفة عنهم اختلافا جزئيا بالاعتماد على اختلاف اللّغة، أو الفكر، أو اختلافا كليّا، أو في كافة المجالات دون استثناء.

رواية فضل اللّيل على النّهار رواية باللّغة الفرنسيّة للكاتب الجزائري "ياسمينة خضرا" كتبها سنة 2008م، الرّاوي والشّخصية الرّئيسيّة هو جزائري، يعيش في حقبة الاستعمار الفرنسي وتدور أهم أحداث الرّواية غداة الحرب التّي أدّت إلى استقلال الجمهوريّة الجزائريّة.

1 ــ الملامح البيئية

كان لهذه الملامح في الرّواية وجودا لا يمكن تجاهله ولا تجاوزه، حيث وضع الطّابع الطّبيعي بصمته عليها، وكل هذا لم يأت هكذا بل كان بصدد التّعريف بالهويّة العربيّة وتعدادا لملامحها المميّزة.

أ – التضـــاريس

كانت الجبال العربيّة، هذه المظاهر التّي استولت على قلوب وعقول الرّحالة والمستشرقين، وهذا لجمالها الطّبيعي وتموقعاتها وأشكالها التّضاريسيّة المدهشة، فقد كانت الجبال العربيّة محلّ دراسة لدى المستشرقين، وكان لهذا المظهر البيئي الهام مكانة في الرّواية، وقد أشار "**ياسمينة خضرا**" إلى الجبال بقوله: «**في الأوراس، دار الحديث حول عقداء وفيالق كاملة... يلتحق هؤلاء بالجبال الوعرة ليلا ليشكّلوا وحدات جديدة من المجاهدين.**»[1]

لقد عرفت هذه السّلاسل الجبليّة الجزائريّة أهمّية كبيرة لما تحمله من جمال وروعة ودهشة وعظمة، فهي جبال تدلّ على القوّة والشّموخ والتّصدي، ومن المعروف أن الجزائر كان لها نصيبها من الاستعمار كغيرها من البلدان العربيّة وقد كانت بدايات هذا الاستعمار في الجبال وأوّل رصاصة معلنة عنه انطلقت من أعالي قممها، فهي كانت نقطة تفجير الثّورة ضد الاستعمار الفرنسي، كما كانت محطّة للعديد من المعارك الجزائريّة ضد مستعمرها ومقبرة لشهدائها، فهي جبال تدل على القوة والجبروت، شموخ قممها يدل على شموخ أهلها وكرامتهم، كما تدلّ على رفض الاستعمار، وقد عملت على النداء بالحريّة والتّحرّر، وهذا ما بينته المعارك التّي قامت فيها، فالدّفاع عن الوطن والحريّة هو دفاع لاسترجاع الحقوق المسلوبة

1ــ ياسمينة خضرا، رواية فضل اللّيل على النّهار، مصدر سابق، ص 385.

والهويّة الوطنيّة وأصالتها، التّي كانت غاية منشودة للاستعمار ومبدأ يعمل على القضاء عليه ومنه فحضور الجبل في الرّواية هو إشارة إلى هويّة الكاتب العربيّة الجزائريّة من خلال ملامحها البيئيّة الهامة.

ب – الأماكن والمدن

لم تخل رواية "ياسمينة خضرا" من أسماء الأماكن والمدن الجزائريّة المعروفة، فقد ذكر العديد منها: مستغانم، «**ومع ذلك قتل أشخاص في مستغانم**»[1]، الجزائر العاصمة ،«**استولت جماعة مسلحة على مركز للشرطة**»[2]، عين تيموشنت، «**سجلت عين تيموشنت اعتداءات قلب المدينة**»[3]، إضافة إلى وهران، بجاية، تيميمون...ذكر هذه الأماكن في الرّواية لم يكن هكذا بل جاء للدّلالة على الهويّة الجزائريّة وذكرها هو تذكير بهويّة الكاتب المفقودة، فكلّ هذه المدن هي ملامح للهويّة العربيّة الجزائريّة.

وبهذا تكون الأماكن من أهم الملامح البيئيّة الدّالة على الهويّة العربيّة، وهذا ما يفعله الاستعمار عند استحواذه على البلاد فهو يقوم بتغيير أسماء الشّوارع والقرى من أسماء عربيّة إلى أسماء فرنسيّة وهذا للقضاء على الهويّة العربيّة. وبهذا فالتّسمية عنصر هام في الهويّة وفي الدّلالة عليها، سواء بالأشخاص أو الأماكن فكل ماهر عربي دلّ على هويّة عربيّة محضة.

ج – الحيوانات

إضافة إلى هذا نجد العنصر الحيواني كملمح من ملامح الهويّة العربيّة فقد كان رمزا لها من خلال ذكر الكاتب للكلب في قوله: «**تبعنا كلبنا بسحنة منتكسة**»[4]، «**أحببت كلبي كثيرا، كان صديقي الوحيد الذّي أبوح له أوجاعي**»[5]، «**ثم ذات ليلة، بلا أدنى إخبار، انتقضّت علينا المصيبة، كان كلبنا، ينبح، ينبح**»[6]، فالكلاب تعد من الحيوانات الأليفة المصاحبة للإنسان، وقد صادقت الإنسان منذ زمن بعيد حيث أنها لطيفة ووفيّة، وتنقسم

1ـ المصدر نفسه، ص 384.

2ـ المصدر نفسه، ص 385.

3ـ ياسمينة خضرا، رواية فضل الليل على النهار، مصدر سابق، ص385.

4ـ المصدر نفسه، ص 20.

5ـ المصدر نفسه، ص 21.

6ـ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الكلاب إلى عدّة سلالات وتستخدم في العديد من الأغراض، ويعتبر الصّيد أحد الأغراض التّي يقوم الكثيرون بتربية الكلاب من أجلها.

كما تستعمل أيضا في الرّعي حيث يقوم الأفراد الذّين يمتلكون قطيع من الأغنام بتربية الكلاب لذلك الغرض، حيث ترافق الكلاب الأغنام بشكل دائم عند القيام بعمليّة الرّعي، فتعمل على توجيهها وحمايتها من أي خطر قد يعترض طريقها.

ولهذه الأسباب ذكر الكاتب الكلب ليدل به على ملمح من ملامح البيئة العربيّة عامة والجزائريّة خاصة فهو بصدد الإشارة إلى نمط معيشي يتميّز به أصحاب الأرياف الجزائريّة من بيئة رعويّة واهتمامهم بالحقول وزراعة الأراضي الفلاحية.

زيادة على ما سبق من خصائص بيئيّة نجد أن الكاتب أشار إلى الطّابع الزّراعي الذّي تميّزت به منطقة الغرب الجزائري إبان الاحتلال من زراعة للكروم فقرية "ريو صلادو" لها طعم خاص، فهي ذات ألوان متوهّجة وطبيعة رغدة، تلك القرية الجزائريّة التّي أغلب قاطنيها وسكانها من مزارعي العنب، إذ يستدل "ياسمينة خضرا" قائلا: «**تتربّع ريو صلادو وسط كرومها وخزّانات خمورها...وهي تترقّب بين موسمين لقطف العنب نشوة الأيام القادمة الحالمة**»[1]

وبهذا يكون الكاتب قد قدّم مجموعة من العناصر البيئيّة التّي تمثّل أحد عناصر الهويّة العربيّة الجزائريّة.

2 – الملامح الشّخصيّة

اشتملت الرّواية بالعديد على الملامح الشّخصيّة للهويّة، فقد كان لهذه الأخيرة بصمة عند "ياسمينة خضرا" فاحتوت الرّواية على العديد من أسماء الأعلام.

أ – أسماء الأعلام العربيّة

من الأسماء العربيّة التّي وردت في الرّواية، والتّي استخدمها الكاتب للدّلالة على الهويّة العربيّة نجد اسم "يونس" الذّي تكرّر ذكره في الرّواية عدّة مرّات على أساس هو البطل «**عزيزتي جرمان، أقدّم لك يونس، بالأمس ابن أخي، اليوم ابننا**»[2]، «**اسمي يونس**»[3] وإلى جانب

1ـــ ياسمينة خضرا، رواية فضل الليل على النهار، مصدر سابق، ص 185.

2 – المصدر نفسه، ص91.

3ـــ المصدر نفسه، ص 93.

هذا البطل كان هناك والده "عيسى"، «**الناس ملاعين، يا عيسى. إنها طبائعهم لا يفيدنا لومهم في شيء**»[1]، والملاحظ هنا أنّ الكاتب قد استوحى هذين الاسمين من أسماء الأنبياء المرسلين" يونس عليه السلام" و"عيسى عليه السلام" وهذا ما يدل على هوية عربية إسلامية. وغيرها من الأسماء العربيّة مثل: "ميلود"، "جلول"، "مصالي الحاج"، "لالة فاطمة"«**كانت جميلة، لالة فاطمة. كانت متكئة على وسائدها، الرّقبة مستقيمة، والرّأس شامخ فوق قميص من القفطان المرصّع بالذّهب والأحجار الكريمة، يبدو كما لو أنّها تتسيّد على البشر وأحلامهم**»[2]؛ وكذلك اسم "الأمير عبد القادر"، «**يحكى أنّ الأمير عبد القادر لو التقى بها لغيّر مجرى التّاريخ**»[3]، وغيرها مثل "بن مهيدي"،"بوضياف"، «**طفقت أحفظ أسماء غريبة عنّي والتّي تزنّ في أفواه أهلي مثل أذان الصّلاة: بن مهيدي، زبانة، بوضياف، عبّان رمضان، حمّو بوتليليس، الصّومام، الونشريس، جبل لوح، علي لابوانت، أسماء أبطال وأماكن لا تنفصل عن انضمام شعبي لم أتصوّر أبدا أنها مجسّدة ومصمّمة بهذا القدر.**»[4]

وجود هذه الأسماء في الرّواية لم يكن صدفة، فالرّوائي وظّفها عن قصد، حيث أنّها بمثابة رموز وإيحاءات، أراد بها "ياسمينة خضرا" أن يوضّح أنّها توحي بهويّة عربيّة، وأنّ هذه الرّواية عربيّة باستحقاق، فهي أسماء تخصّ العالم العربي عامّة والجزائري خاصة وتميّزه عن غيره.

ب – أسماء الأعلام الفرنسية

كما لم ينس الكاتب هويّته وأصالته الجزائريّة فدافع عنها، فهو في نفس الوقت قد شجّع الاحتلال الفرنسي بطريقة ثقافيّة فكريّة وهذا لم يكن لغاية ولهدف بل لأنه ملزم ومجبر عليه، بحكم المكانة التّي وصل إليها لأنه اعتبر واحد من الفرنسيين (بطل الرواية) وليحافظ على حياته، وقد توضّح هذا الجانب بوضوح من خلال توظيف الكاتب لأسماء أعلام فرنسيّين. مثل:« **أتعرفون من هو؟ إنه "جون شتايبك" الروائي**»[5]، «**ترن أسماء ستالين وروزفالت**

1ــ المصدر نفسه، ص 22.

2ــ المصدر نفسه، ص 101.

3ــ ياسمينة خضرا، رواية فضل اللّيل على النّهار، مصدر سابق، ص101.

4ــ المصدر نفسه، ص 413.

5ــ المصدر نفسه، ص 210.

وتشرتشيل كما بوق الهجمات الأخيرة، أمّا بعض المستهزئين الذّين يتحسّرون على القامة النّحيفة لديغول.» [1]

«سيغني في هذه السّاحة إيمي باريلي... جاك إيليان، بيزار برادو، أسماء وفرق أسطوريّة لم تتمكّن وهران، بأناقتها وشهرتها كعاصمة الغرب من استقدامها.» [2]

إنّ توظيفه لهذه الأسماء والشّخصيّات وغيرها لم تأت هكذا بل هي بمثابة رموز وراءها سر، وبالعودة إلى بطل الرّواية ووضعه الجديد، سنعود حتما إلى هوّيته، الحياة الهانئة لم تنسه البحث عن نفسه، فمن خلال النّكت والتّعليقاتّ السّيئة للفرنسيّين أحسّ "جوناس" بالذّل، وأصبح يعرف بالضّبط أنّه عربي، لكنّه لم يستطع فهم ما تعنيه هذه الكلمة، فهل يمكننا إلقاء اللّوم عليه حول قبوله بذلك النّظام وانتقاد علاقته مع المستعمرين؟، في النّهاية كلّ شخص يتكيّف، ويبحث كل واحد منّا عن شيء مهمّ في حياته، وهو قد وجد طريقه مع هؤلاء النّاس، وأصبح غريبا بين أهله وليس بين الغرباء، وعندما ثار شعبه لم يستطع "جوناس" الاختيار، لم يستطع أن يخون لا هؤلاء ولا أولئك، هو اعترف بثورة الجزائريّين، وفي الوقت نفسه لم يستطع أن يمحو من قلبه أصدقائه المقربين. أفضل شيء فعله واصل ثنائيته، ساعد المجاهدين الجزائريّين، وواصل عيشه ضمن "الجزائر الفرنسيّة"، لم يعق لا هؤلاء ولا أولئك من صناعة التّاريخ، فالحرب ليست فكرة سياسيّة ملفوفة، الحرب هي حياة كل إنسان، ألف مكتوب لتاريخ واحد ممزوج بدم مختلط وصيحات السّعادة، وبعد رميها الأغلال وحصولها على الحرية، الجزائر مثلها مثل "جوناس" لم تستطع محو صورة فرنسا بين من يمجدها ومن يحقد عليها. فبعد سنوات عديدة بالنّسبة للعجوز "جوناس" لم يتغيّر شيء في نفسه، وكما في السّابق، لازال يعيش الحب تجاه وطنه، الحب تجاه أصدقائه، وحب ذكرى شبابه.

3 – الملامح الثّقافيّة

أ – اللّغة

إنّ من المعروف أنّ اللّغة هي روح الأمّة ومرآتها، وكتابة المؤلف بغير لغته عن بيئته وثقافته يؤثّر في درجة التّبليغ والفهم والاستيعاب لدى القارئ والمتلقي والتأثير فيهما، حيث أنّ

1ـ المصدر نفسه، ص 239.

2ـ المصدر نفسه، ص 157.

الكاتب لا يتمكّن من إيصال مشاعره، ولا يؤثر في أفراد مجتمعه من القرّاء بقدر ما يؤثر عليهم لو استعمل لغته القوميّة وبهذا تكون اللّغة هي روح الفرد ومن ضيّعها ضيّع روحه وهويّته باعتبار اللّغة أهم مقوّمات الهويّة وأساس بناء الكيان الشّخصي.

لقد كان لعنصر اللّغة أهميّة كبيرة في العديد من المجالات كالمجال التّعليمي والثّقافي ولها صلة كبيرة بمجال الهويّة، فهي روح العلم والتّعليم، ومعلما من معالم الهويّة العربيّة، وفقدانها هو فقدان للهويّة بكل معالمها، فالعربي هو ناطق باللّغة العربيّة ومتمكّنا منها، وقد كانت اللّغة أهم مقوّمات الهويّة وهذا ما أثبتته السّياسة الاستعماريّة في الجزائر، حيث أنّها عملت على محو الشّخصيّة الجزائريّة ومقوّماتها، فقد كانت اللّغة العربيّة هي العنصر الأوّل الذّي قاومته فرنسا من أجل تحطيم الشّخصيّة الجزائريّة، وطمس معالم كيانها، وهذا يثبت أهميّة اللّغة في بناء الهويّة والحفاظ عليها، وقد أشار الكاتب إلى هذه الظّاهرة التّي عانى منها الشّعب الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي من خلال بطل الرّواية "يونس" الذّي كان في عمر العشر سنوات لكنه لا يرتاد المدرسة بعد، و لم يذهب إلى المدرسة إلاّ عندما تركه والده عند عمّه "ماحي"، وقد كانت مدرسة فرنسيّة وليست عربيّة، إذ يقول الكاتب على لسان البطل: «**اطمأن عمّي وسجّلني في مدرسة على بعد هدفتين من زقاقنا....خلافا للمعلّم، رجل خشن يدرّسنا اللّغة الفرنسيّة بلهجة "أوفرنيا" القويّة والتّي يحسن بعض التّلاميذ تقليدها جيّدا.**»[1]

ومنه فالهويّة الحقيقيّة هي أن يكون هذا فرنسي أو ذاك عربي، وهذا مسلما أو ذاك مسيحيّا، ولا يجمع بين الصّفتين إطلاقا.

ب – الدّين

تعدّ الدّيانة أقوى مرتكزات الهويّة الثّقافيّة، التّي تشكّل بالضّرورة معنى الأنا الجمعي لأي أمّة من الأمم، ونعني بها الإيمان بأفكار ومعتقدات وتصوّرات تتّصل بالله وكتبه ورسله، يعتبر الدّين أحد العناصر التّي تشكّل بناء المجتمعات وتوحيد قيمها ومفاهيم الأفراد فيها، إضافة إلى أنماط التّفكير والعادات والتّقاليد وبالأخص الطّبيعة والإنسان والعلاقة الوطيدة بينهما.

1ــ ياسمينة خضرا، رواية فضل اللّيل على النّهار، مصدر سابق، ص 116.

تجلّت أهميّة الدّين في أنه يخاطب عقول النّاس ووجدانهم إذ ليس من الغريب أن يكون المذهب الدّيني عاملا مهمّا في تكوين الطّابع القومي، والشّعور بالانتماء، فهو يولّد نوعا من الوحدة ويثير في النّفوس نوع من العواطف والأحاسيس وخاصة التّي تأثّر على أعمالهم.

الإسلام هو ديانة الأمة الإسلاميّة ممثّلا ومعرّفا لأصالتها وهوّيتها، هو الذّي يطبع ويصبغ ثقافتهما بطابعه ويصوغها في قالب ونظريّة للكون وللذّات، ممّا متعارف عليه أن الدّيانة الإسلاميّة جاءت هداية للإنسانيّة جمعاء، ولم تذكر الرّسالات السّماويّة السّابقة دورها، بل جمعت بينهما لتصحّح العقيدة الدّينيّة، كما دعت إلى الحريّة في اختيار المعتقد والمساواة بين النّاس لأجل تحقيق مبدأ التّعايش بين المسلمين.

كما دعا بعالميّة الدّين، فأبرز الكاتب الإيمان والإسلام يوم القيامة التّي أخبرنا بها القرآن الكريم واعتبرها حقيقة لا مفرّ منها، فيحاسب النّاس على أفعالهم وأقوالهم، ثم يصنفون إلى صنفين:صنف في الجنّة، وصنف في النّار، اتّضح جليا من خلال قول الكاتب:«**لم يدرك والدي أنّ البنت لم تعد تتغذى، وأن شيئا بذهنها منذ تلك اللّيلة التّي اختارت جهنّم أن ترمي نارها على حقولنا**»[1]، كما تجلّت الهويّة الدّينية من خلال شخصيّات تكتسي معنى الانتساب إلى ديانة معينة، أوردها الكاتب بدلالات متنوّعة مثل قوله:«**في تلك اللّيلة وعندما رأيت النّيران عن بعد، أدركت أنّ شقيّا فقيرا يعود إلى الجحيم ولكنّني لم أكن أتصوّر أنّ الأمر يتعلّق بك ــ ردّ أبي إنّها مشيئة الله**»[2] كما نجد في الرّواية تأثّر بالدّيانة المسيحيّة من خلال ذكره: «**وعلى طريقته في حمل الأثقال وعلى خطاه المنتظمة القطة، التّي يبدو أنّها تركل الأرواح الشّرّيرة**»[3]حسب اعتقاد المسيحيّين أنه توجد أرواح شرّيرة تطارد بعض البشر. كما نجده متأثّرا بالقرآن الكريم وبألفاظه من خلال:« **يتأمّل المحصول الذّي يعد أخيرا بفرحة أكيدة بعد سنوات عجاف من الجدب وقحولة الأرض**»[4] هذا مقتبس من قصّة سيّدنا يوسف من خلال قوله عز وجل:«**وقال الملك إنّي أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات**

1ــ ياسمينة خضرا، رواية فضل اللّيل على النّهار، مصدر سابق، ص 12.

2ــ المصدر نفسه، ص 14.

3ــ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4ــ المصدر نفسه، ص 8.

خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤاي إن كنتم للرّؤيا تعبرون»[1]كما نجد تأثره بمفاهيم مستمدّة من القرآن الكريم تجلّت كالآتي: يائسين من كظم عينهم، مقتبسة من سورة آل عمران قوله عز وجل:«**الذّين ينفقون في السّراء والضّراء والكاظمين الغيظ**»[2] ، تبيّن أنّ الكاتب على دراية بالقرآن الكريم ومطلع على أصوله ومعالمه.

يظلّ بناء الهويّة قائما على أسس ومرتكزات، تتمثّل في (اللّغة، الدّين، الثّقافة) لذا وجب الحفاظ عليها. يتميّز كل مجتمع عن الآخر بثقافة ولغة، إلاّ أنّهما يشتركان في مرجع الدّين هذا الأخير الذّي نعرف به خبايا الكون ومعرفة الأمور حسنها من سيّئها، هذا ما جعله العنصر الثّاني بعد اللّغة الذّي سعى الاستعمار إلى محاربته والقضاء عليه، ولعلّ أبرز مظاهر محاربة الدّين في الرّواية تجلّت من خلال نشر الثّقافات التّي تنافت مع الدّين الحنيف أبرزها: ظاهرة الاختلاط بين الرّجال والنساء، أوكار الدّعارة "الماخور"، شرب الخمر، اللّباس العاري، أظهرها الكاتب من خلال تسليط الضّوء على عدّة جوانب من خلال وصف حياة "يونس" قبل مغادرته من الرّيف إلى مدينة وهران من خلال قوله: «**تقوقعت أمي في ركن على حافلة المركبة، مندسة في حايكها، لا تكاد تميّز وسط صررها، أمّا أختي الصّغيرة فحافظت على أصابعها داخل فمها، بصرها غائب.**»[3]، إضافة إلى قوله: «**انبثقت من هلوسة أمر أبي أمي بانتظارنا قرب صخرة، في عاداتنا تبقى النّساء بجانب حين يلتقي الرّجال، لا توجد إهانة للزّوج أكثر من رؤية رجل يطيل النّظر في زوجته، انصاعت أمي للأمر وذهبت في المكان المشار إليه، وهي تحمل زهرة بين يديها**»[4]، إذ من خلال القول وضّح لنا عادات النّساء حين يلتقي الرّجال بالرّجال فإنّهن يبقين جانبا ولا يتدخّلن في شؤونهم، إضافة إلى قول الرّوائي: «**قبل سقوط اللّيل بقليل، ظهر رجل على قمة الهضبة وأشار إلينا بحركات عريضة من يديه، لم يرد الاقتراب منا بسبب تواجد أمي بيننا عادات احتشام واحترام**»[5]، إذ من خلال قوله يبين لنا السّلوكيات الأخلاقيّة القائمة على الاحترام والاحتشام حين تتواجد النّساء.

1ـ سورة يوسف، الآية 43.

2ـ سورة آل عمران، الآية 143.

3ـ ياسمينة خضرا، رواية فضل اللّيل على النّهار، مصدر سابق، ص 20.

4ـ المصدر نفسه، ص 21.

5ـ المصدر نفسه، ص 26.

إضافة إلى قوله: «**لا نزال نبرح في مكان واحد. الشّيء الغريب هو أن النّساء لا يرتدين الحايك يتجوّلن بوجوه مكشوفة. تضع العجائز قبّعات غريبة فوق الرّؤوس، أمّا الفتيات فيتبخترن في أجساد نصف عارية، الشّعر المسترسل على الأكتاف معرّض للرّيح، غير مترعجات من اختلاطهن بالرّجال.**»[1]، فتعجّب الكاتب من لباس النّساء، بعد أن اعتادت عيناه على رؤية النّسوة يرتدين الحايك مع سترة الوجه وعورات الجسم، إذ انبهر من لباس العجائز والفتيات وعدم انزعاجهم من اختلاطهنّ بالرّجال، وبين الانحلال الأخلاقي الذّي ساد في المجتمع، يقول "ياسمينة خضرا":«**يقع ماخور وهران مباشرة خلف المسرح، في زقاق ضيق متسخ تقود إليه سلالم تفوح بولا وتعج بالسّكارى**»[2]، إذ يعتبر الماخور مكان مشبوه تقام فيه الأعمال المخلة بالحياء، وهو من الأماكن المنبوذة في الدّين الإسلامي إذ يعد مكان للتّسلية وهدر الأموال، وشرب الخمر وكل ما حرمه الله علينا.

وبالتّالي فالرّواية كانت شاهد حي من خلال إبرازها لأهم مظاهر محاربة الدّين ومبادئه في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، إذ بيّنت لنا جملة من السّلوكات والثّقافات التّي تنافت مع مقوّمات الدّين منها: ظاهرة الاختلاط بين الرّجال والنّساء كما أوضح ابن القيم في كتابه الطّرق الحكيمة في السّياسة الشّرعيّة «**ولا ريب أن تمكين النّساء من اختلاطهنّ بالرّجال أصل كل بليّة وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامّة، كما أنّه من أسباب فساد أمور العامّة والخاصّة، واختلاط الرّجال بالنّساء سببا لكثرة الفواحش والزّنا، وهو من أسباب الموت العام، والطّواعين المتصلة**»[3]

ج – التّاريخ

التّاريخ هو السّجل الزّمني للأحداث التّي أثّرت على أمّة أو شعب، إضافة إلى أنه درس الماضي البشري كما هو موضّح في الوثائق المكتوبة التّي خلّفها البشر، كما ينظر إليه بأنّه الأساس الثّابت الذّي يقف عليه المؤرخون وعلماء الآثار.

1ــ المصدر نفسه، ص 29.

2ــ المصدر نفسه، ص 201.

3ــ أبي عبد الله محمّد بن أبي بكر بن أيّوب ابن القيّم الجوزيّة، الطرق الحكيمة في السيّاسة الشّرعية، تح: نايف بن أحمد الحمد، المجلد 1، دار عالم الفوائد للنّشر والتّوزيع، د.ت، ص 124.

يلعب التّاريخ دورا أساسيّا ومهما في الفكر الإنساني، وذلك لأنه يستدعي مفاهيم القوّة البشريّة، والتّغيير والظّروف الماديّة التّي تؤثّر على الشّؤون الإنسانيّة والمعنى المفترض للأحداث التّاريخيّة، بالإضافة إلى أنّه يثير إمكانيّة التّعلم من التّاريخ، ويقترح إمكانيّة فهم طبيعة البشر بشكل أفضل في الوقت الحاضر من خلال فهم القوى والاختيارات التّي أوصلت الإنسان لهذا الحاضر.

و على إثر هذا فقد وظف الكاتب في روايته "فضل الليل على النهار" العديد من الأحداث التاريخية، استهلها بتاريخ الذّكرى المئويّة للاحتلال الفرنسي للجزائر في قوله:«**في هذه الأيّام من 1930م، كان البؤس والأوبئة يبيدان العائلات والحيوانات بعدوانيّة عجيبة، فيجبران النّاجين على الهجرة أو على التّشرد**»[1]

نعم إنّها مائة عام تمر على تواجد العدوان الفرنسي على أرض الجزائر منذ دخوله في 5 جويلية 1830 بسيدي فرج، وما خلفه هذا الاحتلال من آثار على الشّعب الجزائري من جهل وفقر، حريّة مسلوبة وحقوق منتهكة، أرامل ويتامى هنا وهناك.

ثم ذهب بنا الكاتب إلى حدث تاريخي آخر جرى على أرض الجزائر حيث يقول: «**بدأ صيفنا الأوّل في "ريو صلادو" بشكل سيّء. في 3 جويلية 1940، اهتز البلد تحت عملية (كتابولت) التّي رأت سرت القوّات الجويّة البريطانيّة، (قوةH)، يقنبل البواخر الحربيّة الفرنسيّة للقاعدة البحريّة لمرسى الكبير**»[2]، وكأنّ الجزائر لم يكفها التّخريب الذّي أحدثه الاحتلال بها، حتى يحلّ عليها أعداء فرنسا أيضا.

و قد شهدت الجزائر أيضا في نفس هذه السّنة حدثا آخر وهو حلول القوّات الأمريكيّة على أرضها استنادا لقول "ياسمينة خضرا": «**بعد شهور قليلة، في 7 نوفمبر، وفيما كان المساء يستقر على الشّاطئ الفارغ، انبثقت أشباح مخيفة من عمق الأفق ... لقد بدأ إنزال القوّات الأمريكيّة على الشّواطئ الوهرانيّة**»[3]، هذا الحدث الذّي أثار الرّعب في النّفوس والذّي لم يستطع أحد التّصدي إليه، بسط نفوذه على أرض الجزائر بكل سهولة وأريحيّة حيث جاء في

1ــ ياسمينة خضرا، رواية فضل اللّيل على النّهار، مصدر سابق، ص 12.

2ــ ياسمينة خضرا، رواية فضل اللّيل على النّهار، مصدر سابق، ص 172.

3ــ المصدر نفسه، ص 190.

الرّواية «**فيما كان جنودنا ينتظرونهم مخندقين في مخابئهم، استدارت سفن العدو خطوطنا الدّفاعيّة عبر جبل الأسود ورست على شواطئ أرزيو بلا عراقيل. وبعد ذلك، دخلوا في البريّة عبر غابة "تليلات" دون أن يصادفوا أحد قبل أن ينقضّوا على وهران من الخلف...يستعرض الأمريكيّون عبر شارع معسكر فيما تنتظرهم قوّاتنا عبر المنحدرات...دخل العدو إلى وهران كما إلى السّوق.**» [1]

كما لا يخفى عن أذهاننا أيضا المجازر البشعة التّي تعرّض لها الشّعب الجزائري من قبل الاحتلال الفرنسي «**فجاء الثامن ماي 1945. في الوقت الذّي كانت الأرض بأسرها تحتفل بنهاية الكابوس، ينفجر كابوس آخر في الجزائر، أكثر صاعقة من الوباء، أكثر وحشيّة من القيامة.**» [2]، وهي عمليّات قتل ارتكبتها قوّات الاحتلال الفرنسي ضدّ الشّعب الجزائري، وشملت معظم أرجاء الجزائر ومن أهم المناطق هي سطيف والمسيلة وقالمة وخراطة وسوق أهراس، حيث يقول الكاتب:«**تحكي المحطة العربيّة القمع الدّموي الذّي تعرّض له السّكان المسلمون في كلّ من قالمة وخراطة وسطيف، والمدافن الجماعيّة حيث تتعفّن الجثث بالآلاف.**» [3]. بعد أن قامت الشّرطة الفرنسيّة بقمع المظاهرات فيها يوم إعلان انتصار الحلفاء في الحرب العالميّة الثّانية، أتاحت المظاهرات التّي جرى تنظيمها في قسنطينة، الفرصة للقوميّين للمطالبة باستقلال البلاد عن فرنسا. ثم تدخّلت الشّرطة وقتل شاب وتحوّلت المظاهرات إلى أعمال شغب، نتج عن هذه المجازر قتل أكثر من 45000 جزائري.

اكتفى الشّعب الجزائري من القهر والظّلم والتّعذيب والتّقتيل والاستعباد، واكتفى من ألاعيب وكذب فرنسا فقد أراد الحريّة، كان هذا السّبب العام للثّورة التّحريريّة الكبرى «**فاجأنا يوم أوّل نوفمبر 1954. مدد صاحب المقهى الجريدة على المصرف ساخطا. انطلقت حرب الاستقلال**»[4]، و هي حرب اندلعت في الفاتح نوفمبر 1954 بمشاركة حوالي 1200 مجاهد كان بحوزتهم 400 قطعة سلاح وبضع قنابل تقليديّة، فالشّعب الجزائري شعب يأبى الخضوع

1ـــ المصدر نفسه، ص 191.

2ـــ ياسمينة خضرا، رواية فضل اللّيل على النّهار، مصدر سابق، ص 240.

3ـــ المصدر نفسه، ص 241.

4ـــ المصدر نفسه، ص 383ـــ 384.

والاستكانة يحارب بنزعة دينيّة شعاره تضحيّتنا للوطن خير من الحياة، ثورة ضدّ الاستعمار الفرنسي الذّي احتل البلاد منذ سنة 1830، احتلال دام 132 سنة، ودامت ثورة التّحرير الجزائريّة طيلة سبعة سنوات ونصف من الكفاح المسلّح والعمل السّياسي، «**قرّرت حفنة من الثّوريّين المرور إلى العمل المسلّح، ليهزّوا شعبا غارقا في سبات عظيم بعد أزيد من قرن من الاستعمار، أتعبته المقاومات الشّعبيّة التّي حرّكتها القبائل المعزولة عبر الأجيال، قمعها الجيش الاستعماري القوي المدجّج بالسّلاح.**»[1]

وقد انتهت هذه الثّورة المباركة بعد العديد من الأحداث التّي ميزت تاريخ الجزائر، بإعلان استقلال الجزائر يوم 05 جويلية 1962، «**مشيت في الشّوارع المبتهجة، وسط الأناشيد والزّغاريد، تحت الأعلام الخضراء والبيضاء ووسط ضجيج الحافلات المحتفلة بعرس الاستقلال. غدا اليوم الخامس من جويلية، سيكون للجزائر بطاقة هويّة وراية ونشيدا وطنيّين، وآلاف العلامات التّي ينبغي إحياؤها من جديد**» [2]، ولقد تم توقيع مرسوم الاستقلال يوم 03 جويلية 1962 وقامت جبهة التّحرير الوطنيّة بإقرار 05 جويلية لمسح هزيمة 05 جويلية 1830 بسيدي فرج، وقد كان عزم وإرادة الجزائريّين في استرجاع أرضهم وحرّيتهم السّبب الأكبر في تحقيق الاستقلال بعد أن سقط أكثر من مليون ونصف مليون قتيل جزائري، وذلك ما أعطى الجزائر لقب بلد المليون ونصف المليون شهيد في الوطن العربي.

وقد كان عزم وإرادة الجزائريين في استرجاع أرضهم وحريتهم السّبب الأكبر في تحقيق الاستقلال بعد أن سقط أكثر من مليون ونصف مليون قتيل جزائري، وذلك ما أعطى الجزائر لقب بلد المليون ونصف المليون شهيد في الوطن العربي.

ومنه فالتّاريخ هويّة، وكل بلد له تاريخه وتاريخ الجزائر ليس تاريخ أي بلد آخر، وهذا ما جعل الكاتب يوظف جميع هذه الأحداث التّاريخيّة ليدل بها على هويّة عربيّة جزائريّة، هويّة وطنه الحبيب الذّي عانى ويلات مستعمر مستبد.

د – العادات والتّقاليد

1ـــ المصدر نفسه، ص 384.

2ـــ ياسمينة خضرا، رواية فضل اللّيل على النّهار، مصدر سابق، ص 486.

لدراسة هذا العنصر لابد من معرفة ثقافة المجتمعات السّائدة انطلاقا من أن: قيم ومثل المجتمعات تختلف من ثقافة لأخرى، إذ لا يمكن القول أنه يوجد شيء بوصفه مجتمعا أو ثقافة مثالية معنى هذا أنه لا توجد قيم صحيحة بشكل عام أو عالمي وأن كل الثّقافات بالتّساوي صحيحة. إذ أن الشّخصيّة الثّقافيّة تختلف في طرائقها وقيمها، وسبل معيشتها مع الآخر. وبما أن الثّقافة الجماعيّة إحدى المرتكزات الأساسيّة للهويّة تتميّز بالتّماثل مع تقاليد الأنا التّي قد لا تقبل أيّ تغيير فيها، لأنه قد كون من إنتاج الآخر المختلف عنها، فتعتبره خطرا عليها وعلى استمرارها في الوجود.

إنّ ثقافة المجتمع تعتمد على تبنّي المجتمع لقيم وعادات معيّنة ومن ثم تراعي فيها إمكانيّة تقبّل واستهلاك الجماهير لها والسّير على خطى منوالها. تعمل القيم كقوى اجتماعيّة في تشكيل اتجاهات الاختيار عند الأفراد. هي التّي توجّه الفعل الاجتماعي نحو الهدف الخاص أو العام. فالقيم في حقيقتها هي العوامل أو القوى الحقيقيّة في حياتنا الاجتماعيّة والقيم التّي تشكّل المعايير التّي بدورها تحكم على الفعل بالصّواب أو بالخطأ، فتعمل كمبرّرات أو ترشيد للسّلوك أكثر من هذا فإنّ القيم هي ما ينبغي أن يكون أو واجب أو مثال لأي تراث أو ثقافة. ولأن الهويّة الثّقافيّة انتقائيّة فإنها تسمح بإمكانية الاختيار بين القيم المبتغاة من طرف المجتمع، إذ يحق لكل فرد اختيار مبادئه وأعرافه من هذا المجتمع وله الحريّة أن يترك مالا يلاءم شخصيته بشرط عدم المساس بالقوانين الاجتماعيّة، والقناعات المطلقة التّي تؤمن بها الجماعة.

و يمكن أن نعدّ العادات التّقاليد والقيم، صفات الموضوعات والظّواهر الماديّة للوعي الاجتماعي التّي نميّز أهمّيتها للمجتمع ولطبقة ما، وإنسان ما، ويخلق نسقا من المفاهيم الأخلاقيّة التّي تمثّل «**المثل العليا– التّي توجّه سلوك الإنسان.**» [1] فيزيد ذلك من قوة الانتماء لديه ليجعل من حب الوطن القيمة الاجتماعيّة المهيمنة، والغاية المنشودة لقوميته وحياته وبذلك تتوسّع حركة الشّعور بالمصير والأهداف والمسؤوليّات المشتركة لجميع المواطنين، يتقاسمون الحقوق والواجبات وعلى دراية تامة بالقواعد والقوانين الاجتماعيّة المأخوذة من التّاريخ والتّراث المتداول.

1ـــ برهان غليون وسمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثّقافة، دار الفكر المعاصر، دمشق، بيروت، ط1، 1420ه الموافق لـــ 1999م، ص 234.

إذ أن المجتمع الإنساني متكوّن من أفراد يشكّلون جماعات لديها عادات وأعراف لأجل تنظيم العلاقات الاجتماعيّة فيه، وعليه فإنّ الفرد يأخذ تصرّفاته من غيره، ويتأثّر بالآخرين في طرق حياتهم ثم يحاول تقليدهم. ويقصد بالمعتقدات الشّعبية الأفكار التّي يؤمن بها الشّعب فيما يتعلّق بالعالم الخارجي وقد تكون هذه المعتقدات نابعة من نفوس أبناء الشّعب ذاته عن طريق الكشف والإلهام. وتتعلّق بطريقة اللّباس أو الأكل عند شعب من الشّعوب كما تحتوي طرائق الاحتفال ومختلف الطّقوس الاجتماعيّة الخاصة بالمناسبات، وربما تنطوي الحكايات الشّعبيّة والخرافات وكافة السّلوكيّات التّقليديّة التّي ترجع أصولها إلى أهل منطقة معينة باستمرار وديمومة، وعلى الرّغم من أن العادات والتّقاليد هي أمور معنويّة إلّا أنّها تعدّ من أهم مكوّنات الثّقافة الوطنيّة التّي تميّز مجتمعا إنسانيا عن غيره من المجتمعات، وقد جاءت لتكوين التّفاعل الاجتماعي، «**فهي الرّباط المعنوي الذّي يحافظ على تماسك المجتمع ويخلق لديهم- أي أفراده- شعورا عاما بالوحدة والتّجانس والمصير المشترك.**» [1]

كثيرة هي العادات والتّقاليد التّي تميّز مجتمع عن آخر وتعكس إلى حد كبير مدى وحدة هذا البلد، ولعلّ أبرز ما يميّز هويّة الفرد أو المجتمع، الزّي التّقليدي، حيث يعتبر اللّباس معلم من معالم ثقافة الشّعب، ففي رواية" **فضل اللّيل عن النّهار**" عرج بنا **ياسمينة خضراء** إلى صورة الفرد الجزائري الذّي حافظ على أصالة تراثه، وهذا تجلّى في حديثه عن أسلاف يونس:«**مرّ عمّي على صورة ثانية تجمع ثلاثة رجال ببرانس الأسياد، الوجوه وقورة بلحي معتنى بها النّظرات قويّة كما لو أنّها ستنبثق من الإطار**»[2]

لطالما كان البرنوس اللّباس التّقليدي الذّي توارثه الآباء على الأجداد إذ يعد رمز للوقار والشّهامة، كان في الماضي جزء لا يتجزأ من هويّة الجزائريّين ومفخرة للرّجال على وجه الخصوص هو لباس أقل ما يقال عنه: أنّه ذو رمزيّة عالية. واللّباس الملكي الذّي يبرز هويّة" **ياسمينة خضراء**" بهذه العبارة قدّم صورة الرّجل الجزائري الأصيل عكس الرّجل الحضاري.

2ـــــ محمّد بن عبد العزيز ربيع، الثّقافة وأزمة الهويّة ثقافة المقاومة، مؤتمر جامعة فلاديلفيا الدّولي العاشر، لكليّة الآداب والفنون، مطبعة الخط العربي، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، 2006، ص 51.

2ـــياسمينة خضرا، رواية فضل اللّيل على النّهار، مصدر سابق ص 56.

كما يحيلنا أيضا إلى القيم التّي على أساسها تقام الحضارات والقوميّات ضد العناصر الدّخيلة التّي تهدّد كيان بناء الذّاكرة الثّقافيّة والتّاريخيّة للأبناء.

يصف لنا الرّوائي حالة البؤس والشّقاء التّي تظهر جليا من خلال ارتدائهم للملابس الرثّة وتجلّى بوضوح من خلال قول الرّوائي:«**أوقف أبي العربة قرب حانوت كئيب يلتف حوله أطفال يرتدون كما لو أنّها جلابيب أكياس من الخيش، مرقّعة بفضاضة وهم حفاة الأقدام**»[1]، ويبرز أيضا اللّباس التّقليدي للمنطقة في قوله:«**غمغم الحانوت وهو يسوّي عمامته السّاقطة على وجهه.**» [2]

فالرّوائي ذكر العمامة واعتبرها اللّباس التّقليدي الرّيفي الذّي يميّز سكّان البادية عن غيرهم. كما ذكر بعض عادات السّكان الأصليّين للمنطقة وبعض الملابس التّقليديّة المعتاد ارتدائها هناك حين قال:«**الوجوه مقعّرة بالرّماد، النّظرة مجمّدة، محيطين إلى برانسهم.**» [3]

كما ظهر لنا بوضوح أنّ "**ياسمينة خضراء**" أبرز عادة الوقار والاحترام اتجاه الأب وأنه يوجد حاجز بين الأب والابن لا يجب تجاوزه عند الجزائريّين خاصّة والعرب عامة وهذا من خلال مقولته:«**وبعد ذلك، سقط على ركبته انبطح على بطنه ثم وتحت أعيننا المذهلة، ترك نفسه يقوم بشيء لا يفعله رجل أبدا أمام الملأ، انفجر بالبكاء ذرف جميع دموع جسمه.**» [4]

كما نقل أيضا وصف حالة الأب وهو مبتهج وسعيد حيث قال:«**أثناء الطّريق طفق يدندن لحنا بدويا، إنّها المرّة الأولى في حياتي اسمعه فيها يغني، كان صوته يتسرّب عبر جميع الاتجاهات.**» [5]

كما أبرز لنا الرّوائي عادة إكرام الضّيف، التّي حثّ عليه الرّسول عليه الصّلاة والسّلام حيث اشتهر العرب بهذه الصّفة، إذ في العصر الجاهلي أحسن العرب استقبال ضيفهم، وقدّموا له أعلي وأرفع درجات الكرم وآداب الضّيافة، وقد وردت أبيات كثيرة فيها ذكر لتعابير

1ـ المصدر نفسه، ص9.

2ـ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3ـ المصدر نفسه، ص 94.

4ـ ياسمينة خضرا، رواية فضل اللّيل على النّهار، مصدر سابق، ص 11.

5ـ المصدر نفسه، ص 8.

الاستقبال، فأكثر العرب استعمال تعابير الاستقبال أهلا وسهلا ومرحبا، حيث من أهم مظاهر الآداب النّبيلة أن تحيي الضّيف بعبارات التّرحيب والتّهليل. كما اشتهر بعض العرب بهذه الصّفة الحميدة حتّى صار مضربا للمثل، فاشتهر حاتم الطّائي بشيمة الكرم وكان أشهر من عرف عند العرب بالجود والكرم.

ومنه نخلص في هذا الفصل إلى أنّ الأدب المكتوب باللّغة الفرنسيّة، أدب جزائري بامتياز، كونه يحمل في ثناياه كل ما يعبّر عن الهويّة الجزائريّة العربيّة الإسلاميّة بعاداتها وتقاليدها وكل ما تحمل من مقوّمات وخصائص المجتمع الجزائري بكل مكوّناته العرقيّة والقوميّة والثّقافيّة، هذا إذا استبعدنا مكون اللّغة (الفرنسيّة) واعتبرناها مجرّد وسيلة تواصل وأداة للكتابة.

خـــاتـــمـــة

خـــــاتـــــــمـــة

نخلص من خلال هذه الدّراسة إلى النّتائج الآتية:

ـــ اختلاف الأدب الجزائري الفرنكفوني عن الأدب الفرنسي الذّي كتبه الفرنسيّون في تعبيره للقضيّة الجزائريّة والواقع الجزائري. فلكل منهما مضامينه الخاصة ومعاناته المتميّزة، فضلا عن طريقة الكتابة وأشكال التّعبير في ترجمة تلك المضامين.

-أنّ أغلب الكتّاب الفرنسيّين الذّين كتبوا عن الجزائر استهدفوا هويّة الجزائر والجزائري من أجل تحطيم الكيان الجزائري فيسهل عليه بذلك أمر إدماجه وفرنسته.

- أنّ استعمال الكتّاب الجزائريّين للّغة الفرنسيّة الغريبة عنهم وعن واقعهم لم تكن حاجزا يحول بينهم وبين مجتمعهم، كما لم تستطع النّيل من شخصيّتهم وأصالتهم وتقاليدهم.

ـــ هذا الأدب الذّي ولد على الأرض الجزائريّة بأقلام جزائريّة في ظروف استعماريّة قاسية وغير طبيعيّة كان وسيلة نضال للكفاح ضدّ المستعمر وللتّعريف بالقضيّة الجزائريّة للعالم.

-أنّ رواية "فضل اللّيل على النّهار" قد قدّمت صورة عن شعب كافح لصنع تاريخه واسترجاع هويّته بعد دهر من الاستعمار، وأنّه حتما بعد ليل حالك الظّلام ستشرق شمس الحريّة والاستقلال يوما ما، وهذا ما حصل بالتّحديد.

وفي الأخير نأمل بأن نكون قد وفّقنا بعض التّوفيق في هذا الجهد المتواضع الذّي يعود الفضل في انجازه بالدّرجة الأولى إلى الله سبحانه وتعالى الذّي منحنا من سعة رحمته، ووهبنا من نور علمه وأعطانا من قوّته ما جعلنا نتحمل مشقّة العمل بحب وصبر وأمل.

فهو حسبنا وهو وليّ توفيقنا.

قـائـمـة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر

1. ياسمينة خضرا، رواية فضل اللّيل على النّهار، تر: محمّد ساري، دار سيديا في المغرب العربي، 2013.

المراجع

2. أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر بن أيّوب ابن القيّم الجوزيّة، الطّرق الحكيمة في السّياسة الشّرعيّة، تح: نايف بن أحمد الحمد، المجلد 1، دار عالم الفوائد للنّشر والتّوزيع، د.ت.
3. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرّائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007.
4. أحمد فرشوخ، الرّد بالكتابة، قراءة في رواية الرّماد الذّي غسل الماء، لغز الدّين جلاوجي، نقلا عن مجموعة من المؤلفين، الهويّة والتخيّيل في الرّواية الجزائريّة قراءات مغربيّة، دار أهل القلم، سطيف، ط.1، 2008.
5. أحمد منوّر، الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي نشأته وتطوّره وقضاياه، دار التّنوير، الجزائر، ط1، 2013.
6. أم الخير جبّور، الرّواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة دراسة سوسيونقديّة، دار ميم، الجزائر، ط1، 2013.
7. آمنة بلعلي، المتخيّل في الرّواية الجزائريّة من المتماثل إلى المختلف، الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تيزي وزو، الجزائر، ط2، 2011.
8. برهان غليون وسمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثّقافة، دار الفكر المعاصر، دمشق، بيروت، ط1، 1420ه الموافق لـ 1999.
9. حسن حنفي، الهويّة، دار الكتب والوثائق العلميّة، القاهرة، ط1، 2012.
10. حفناوي بعلي، أثر الأدب الأمريكي في الرّواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، وهران، د.ط، 2004.

11. رمزي منير بعلبكي وآخرون، اللّغة والهويّة في الوطن العربي إشكاليّة تاريخيّة وثقافيّة وسياسيّة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، بيروت، ط1، 2013.
12. زهرة ديك، ياسمينة خضرا "هكذا تكلّم"، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2013م.
13. عايدة أديب بامية، تطوّر الأدب القصصي في الجزائر، (1925ـــ1967)، تر: محمد صقر، الدّيوان الوطني للمطبوعات الجامعيّة، الجزائر، د.ط، 1962.
14. عبّاس الجراري، هوّيتنا والعولمة، النّادي الجراري، الرّباط، د.ط، 2002.
15. عبد السّلام المسدي، الهويّة العربيّة والأمن اللّغوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، بيروت، ط1، 2014.
16. عبد السّلام بن عبد العالي، هايدغر ضد هيجل، التّراث والاختلاف، دار التّنوير، للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2002.
- عبد الله الركيبي
17. الفرنكفونيّة مشرقا ومغربا، شركة دار الأمّة للطّباعة والتّرجمة والنّشر، برج الكيفان، الجزائر، د.ط، 1993.
18. القصّة القصيرة الجزائريّة، دار الكتاب العربي، الجزائر، د.ط.
19. عبد المجيد حنّون، صورة الفرنسي في الرّواية المغاربيّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، د.ط، 1986.
20. فتيحة كركوش، إشكاليّة بناء الهويّة النّفسيّة والاجتماعيّة، مجلّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، البليدة، الجزائر، العدد 16 سبتمبر2014.
21. فرانز فانون، معذّبو الأرض، تر: د.سامي الدّروبي، جمال أناسي.
22. لعموري الزّاوي، ازدواجية اللّغة في أدب رشيد بوجدرة، وقائع الملتقى الدّولي رشيد بوجدرة وإنتاجية النص، دار الكتاب العربي، الجزائر، وهران، د.ط.
23. محمد الزّحيلي، وظيفة الدّين في الحياة وحاجة النّاس إليه، جمعية الدّعوة الإسلاميّة العالميّة، دمشق، د.ط، 1991.

24. محمّد طمّار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، د.ط، 2006.
25. محمّد عبد الرّؤوف عطية، التّعليم وأزمة الهويّة الثّقافيّة، مؤسّسة طيبة للطّباعة والنّشر، القاهرة، مصر، ط1، 2009.
26. مصطفى بن تمسك وآخرون، السّؤال عن الهويّة في التّأسيس والنّقد والمستقبل، دار الأمان، الرّباط، ط1، 2016.
27. هارلمبس وهولبورن، سوسيولوجيا الثّقافة والهويّة، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010.
28. يوسف الأطرش، المنظور الرّوائي عند محمّد ديب، منشورات اتّحاد الكتّاب الجزائريّين، الجزائر، د.ط، 2004.

المعاجم

29. إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، الجزء 1و2، دار الدّعوة، القاهرة، 1982.
30. ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، الجزء 9، 2003.
31. إشراف م. روزنتال، وب، يادين، الموسوعة الفلسفيّة، تر: سمير كرم، دار الطّليعة، بيروت، ط4، 1981.
32. دانيال ريغ، لاروس السّبيل، مكتبة لاروس، باريس، 1983م، ص5750.
33. السّيد الشّريف علي بن محمّد الجرجاني، كتاب التّعريفات، دار الإيمان للنّشر والطّبع والتّوزيع، الإسكندريّة، 2004.
34. القاموس المزدوج، مكتب الدّراسات والبحوث، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط5، 2009.
35. لويس معلوف، المنجد في اللّغة والأدب والعلوم، نسخة إلكترونيّة.

المجلاّت والدّوريّات

36. نوال بن صالح، الرّواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة وثورة التّحرير، صراع اللّغة والهويّة، مجلّة المخبر، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، العدد السّابع، 2011.

ملتقيات

37. سامية إدريس، الرّواية الجزائريّة الحديثة بين الهويّة الثّقافيّة والهويّة السّرديّة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، أعمال اليوم الدّراسي (الرّواية بين ضفّي المتوسّط)، الجزائر، 2011.
38. فوزيّة براهيمي، الشّخصيّة الرّوائية وهاجس (الوطن، الهويّة، الثّورة) في الرّواية الجزائريّة، الملتقى الوطني الأدب الجزائري في مواكبة قضايا الأمّة، 13ـــ14 ماي 2012م جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر.
39. محمّد بن عبد العزيز ربيع، الثّقافة وأزمة الهويّة ثقافة المقاومة، مؤتمر جامعة فلاديلفيا الدّولي العاشر، لكليّة الآداب والفنون، مطبعة الخط العربي، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، 2006.

مواقع إلكترونيّة

40. الموقع الرّسمي للكاتب: https://ar.wikipedia.org/wiki

فـهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدّمة..... ص (أ– د)
مدخل : الرّواية الفرنكفونية – النّشأة والتّطور - ..... ص 02
أوّلا : أوّليّات الرّواية الفرنكفونيّة في الجزائر ..... ص 02
ثانيا : مسار الرّواية
الفرنكفونيّة.....ص04
1 – الأدب الاستعماري ..... ص 04
2 – الأدب الاستعماري الاندماجي ..... ص 04
3 – الأدب الاستعماري الثّوري ..... ص 06
4 - رواية ما بعد الاستقلال .....ص 07
5 – رواية الأزمة المكتوبة باللّغة الفرنسيّة ..... ص 08
الفصل الأوّل : الرّواية الجزائريّة الفرنكفونيّة ..... ص 11
أوّلا : الهويّة ..... ص 11
1 – مفهوم الهويّة ..... ص 11
2 – أسس ومقوّمات الهويّة ..... ص 15
أ – الدّين ..... ص 15
ب – التّاريخ ..... ص 16
ج – اللّغة ..... ص 17
ثانيا : إشكاليّة الهويّة في الأدب الفرنكفوني ..... ص 18
1 – الأدب الفرنكفوني أدب فرنسي..... ص 18
2 – الأدب الفرنكفوني أدب جزائري..... ص 19

3 – الأدب الفرنكفوني أدب بلا هويّة ..... ص 20
ثالثا : الثّورة والهويّة ..... ص 20
رابعا : إشكاليّة اللّغة في الرّواية الفرنكفونيّة ..... ص 23
الفصل الثّاني : تجلّي ملامح الهويّة في رواية " فضل اللّيل على النّهار " ..... ص 27
أولا : الأديب والرّواية ..... ص 27
1 – نبذة عن الأديب ..... ص 27
2 – الرّواية – "فضل اللّيل على النّهار..... ص 28
3 – ملخّص الرّواية ..... ص 29
ثانيا : ملامح الهويّة في الرّواية ..... ص 34
1 – الملامح البيئيّة ..... ص 34
أ – التّضاريس ..... ص 35
ب – أسماء الأماكن والمدن ..... ص 35
ج – الحيوانات ..... ص 36
2 – الملامح الشّخصيّة ..... ص 37
أ – أسماء الأعلام العربيّة ..... ص 37
ب – أسماء الأعلام الفرنسيّة ..... ص 38
3 – الملامح الثّقافيّة ..... ص 39
أ – اللّغة ..... ص 39
ب – الدّين ..... ص 40
ج – التّاريخ ..... ص 44
د – العادات والتّقاليد ..... ص 47
خاتمة ..... ص 51
قائمة المصادر والمراجع ..... ص 53
فهرس الموضوعات ..... ص 58
الملخّص

الملخّص بالعربيّة

عملت الكتابة باللّغة الفرنسيّة على بلورة الهويّة الوطنيّة في صراعها المستمر مع المحتل الغشيم، وذلك من خلال اقتراب الأعمال الرّوائية من عمق الهويّة الجزائريّة التّي ظلّت طي النّسيان.

فقد أصبحت اللّغة وسيلة فعّالة للصّراع الثّقافي بين المستعمر الذّي تمظهر في أشكال الكتابة التّي حاولت تزييف القيم الوطنيّة، فشكّل بذلك عامل اللّغة جدلا واسعا، فتم نفي كل ما لم يكتب باللّغة العربيّة باعتباره أدبا ليس جزائريا بعيد عن الهويّة الوطنيّة ومقوماتها التّي تعتمد على العامل اللّغوي في تحقيق الانتماء للوطنيّة الجزائريّة وهذا ما يفسّر ضرورة الفهم الجيّد للخطاب الرّوائي باللّغة الفرنسية.

الكلمات المفتاحية:

الهوية، أدب جزائري، ياسمينة خضرا.

الملخّص بالإنجليزيّة

writing in the french language worked on crystallizing the national identity in its continious struggle with the brutal occupier, by approaching the narrative works to the depth of the Algerian identity that has been forgotten.

Language has become an effective means for the cultral struggle between the colonizer that apeared in the forms of writing that attempted to falsify national values, thus the language factor formed a wide debate, so everything that was not writing in the arabic language was denied as it is not algerian literature far from the national identity and its components that depend on the linguistic factor achieving belonging to algerian patriotism, which explains the need for a good understanding of the fictional discourse in the french language

Keywords: identity, Algerian literature, yasmina khadra